البحث الثالث

المراسلات الحربية في عهد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

الاستاذ الدكتور

عبد الرحمن ابراهيم حمد الغنطوسي

Military Correspondence in the Era of the Prophet Mohammed (God bless him)

Prof. Abdul Rahman Ibrahim Hamad Al-Ghantousi, PHD

Iraqi University – College of Education

المراسلات الحربية في عهد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

الاستاذ الدكتور عبد الرحمن ابراهيم حمد الغنطوسي

الجامعة العراقية- كلية التربية

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ...

وبعد:

يكاد لا يمرُّ عام الا وظهر في المكتبات كتاب جديد يتناول سيرة الرسول (صلّى الله عليه وسلم) ورغم ذلك فما زالت هذه السيرة العطرة لرسولنا الكريم مصدر إلهام لكل ابناء الامة الاسلامية عامة وللذين يقرؤن التاريخ خاصة وذلك لما خصّه الله تبارك وتعالى من صفات جعلته كما قال هو عن نفسه (انما ان رحمة مهداة).

وقد جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ(المراسلات الحربية للرسول (ص)) بوصفهِ أنموذجاً لدراسة جزئية من اعمال سيدنا ونبينا (ص) للاقتداء به ولمعرفة طريقة تعامله مع العدو. حيث قسمت هذه الدراسة الى مقدمة واربعة مباحث وقد تناول المبحث الأول (وصايا الرسول في مكة) كيفية تعامل الرسول مع المشركين اثناء جهره بالدين الجديد وما عاناه هو والرعيل الأول من الصحابة من اضطهاد وتنكيل علما انه لم يأمر بقتال اذ كان شعاره آن ذاك وجادلهم بالتي هي أحسن فيما تناول المبحث الثاني (المراسلات الحربية في السرايا والبعوث) أهم التوجيهات العسكرية التي كان يصدرها الرسول (ص) الى قادة السرايا والبعوث الذين ارسلهم لاعتراض قوافل قريش أو لرصد وتتبع اخبارهم خاصة وان المدينة المنورة كانت ممرا لطريق تجارة قريش مع بلاد الشام فيما تناول المبحث الثالث (المراسلات الحربية لغزوات الرسول (ص)) أهم التوجيهات العسكرية التي قالها الرسول او الافعال التي قام بها بوصفهِ انه القائد العام للمسلمين فضلا عن كونه انه قائدا لتلك الغزوات فيما تناول المبحث الرابع (المراسلات مع الملوك والامراء) اهم الكتب والرسائل التي بعثها الرسول (ص) الى الملوك

والامـراء يدعوهـم فيهـا الى الاسـلام هـم واقوامهـم او ينذرهـم بحـرب تشـتث عروشـهم علمـا ان روايـات المؤرخـين تشـير ان بعـث هـؤلاء الرسـل كان في السـنة الثامنـة للهجـرة اي قبـل فتـح مكـة. فضـلاً عـن ذلـك فهنالـك مراسـلات حربيـة بـين الرسـول وبـين بعـض قـادة السرايـا الذيـن بعثهـم ليخبرهـم مـن خلالهـا بمـا يتوجـب عليهـم القيـام بـه.

وقـد اعتمـدت في هـذه الدراسـة عـلى مجموعـة مـن المصـادر والمراجـع التـي مـن خلالهـا حصلـت عـلى الكثـير مـن المعلومـات القيمـة التـي تخـص تلـك الحقبـة المهمـة مـن تاريـخ امتنـا المجيـد وفي الختـام ادعـو اللـه ان اكـون قـد وفقـت فيمـا كتبـت.

المبحث الاول: ـ / أ / وصايا الرسول في مكة

أرسـل اللـه تعـالى رسـوله (صـلّى اللـه عليـه وسـلّم) الى النـاس جميعـا وأمـره ان يدعـو الى الهـدى وديـن الحـق فلبـث في مكـة بعـد مبعثـه ثـلاث عـشرة سـنة (المسـعودي، ١٩٨١، ص٢١٥). والمتتبـع لسـير الاحـداث في تلـك المرحلـة يجدهـا مرحلـة صـبر واعـداد، اذ لـم يـشرع فيهـا القتـال عـلى الرغـم مـن الاذى الـذي لحـق بالرسـول (صـلى اللـه عليـه وسـلم) واتباعـه الكـرام. فكانـت تنـزل آيـات مـن اللـه سـبحانه وتعـالى تؤكـد هـذا المنطـق منهـا قولـه تعـالى {وَاصْـبِرْ لِحُكْـمِ رَبِّـكَ فَإِنَّـكَ بِأَعْيُنِنَـا وَسَـبِّحْ بِحَمْـدِ رَبِّـكَ حِـينَ تَقُـومُ} (سـورة الطـور: ايـة ٤٨) وقولـه {فَاصْفَـحْ عَنْهُـمْ وَقُـلْ سَـلَامٌ فَسَـوْفَ يَعْلَمُـونَ} (سـورة الزخـرف، ايـة ٨٩) لذلـك لـم يـأذن اللـه سـبحانه وتعـالى بـان يقابـل السـيئة بالسـيئة او يواجـه الاذى بـالأذى، او يحـارب الذيـن حاربـوا الدعـوة او يقاتـل الذيـن فتنـوا المؤمنـين والمؤمنـات. امتثـالا لقولـه تعـالى {ادْفَـعْ بِالَّتِـي هِـيَ أَحْسَـنُ السَّـيِّئَةَ نَحْـنُ أَعْلَـمُ بِمَـا يَصِفُـونَ} (سـورة المؤمنـون، ايـة ٩٦) فـكل أمـر بـه جهـاد في هـذه الفـترة هـو ان يجاهـد بالقـران والحجـة والبرهـان فلـم يـشرع الجهـاد في الاسـلام في العهـد المكـي، بـل أمـر المسـلمين ان لا يواجهـوا المشركـين بالقـوة وان لا يحملـوا السـلاح في وجههـم (العمـري، ١٩٩٥، ج١، ص٣٧) فـكان الشـعار آنـذاك هـو قولـه تعـالى { كُفُّـوا أَيْدِيَكُـمْ وَأَقِيمُـوا الصَّـلَاةَ} (سـورة النسـاء ، ايـة ٧٧) يقـول ابـن كثـير في تفسـير هـذه الآيـة كان المؤمنـون في ابتـداء الاسـلام وهـم بمكـة مأمورين بالصـلاة والـزكاة وبمواسـاة الفقـراء منهـم وكانـوا مأمورين بالصفـح والعفـو عـن المشركـين والصـبر الى حـين. وكانـوا يتحركـون ويـودون لـو امـروا بالقتـال يشـتفوا مـن اعدائهـم ولـم يكـن الحـال، إذ ذاك مناسـباً لأسـباب كثـيرة منهـا قلـة عددهـم بالنسـبة الى كثـرة عـدد عدوهـم ومنهـا كونهـم كانـوا في بلدهـم وهـو بلـد حـرام أشرف بقـاع الأرض، فلـم يكـن الامـر بالقتـال فيـه ابتـداء كما يقـال (ابـن الشـحنة، ١٩٩٧، ص٦٩) ويبـدو أن دعـوة رسـول اللـه (صـلّى اللـه عليـه وسـلم)

كانت في البدء دعوة سرية اقتصرت على المؤمنين منهم وتشير المصادر ان هذه الدعوة استمرت «سرا ثلاث سنين ثم اظهرها. (جواد علي، ٢٠٠٤، ص٢٢٧)، وكان الامر للرسول ان يقتصر في التبليغ على خاصته وعلى من يجد في قلبه ميلاً الى الاسلام لهذا لم يعرض نفسه للناس ولم يبلغ رسالته لأهل مكة عامة وكان يجتمع بمن امن به سراً وفي اماكن امنة داخل مكة في بعض الاحيان وفي خارجها في الغالب في الشعاب المتعرجة التي لا يرتادها الناس وكذلك كانت وصاياه الى المسلمين بالتزام الحيطة والحذر والتخفي وعدم الاعلان عن الاسلام الى ان يقضي الله امره فكانوا اذا ارادوا الصلاة خرجوا فراد او مثنى الى الشعاب والبرية يصلون على حذر ولهم عيون ترى القادم لتنبيه المعلن عليه فلا يؤاخذوا على غره ويظهر امرهم للناس (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص١٠٤). ولم تورد لنا كتب السير والمغازي اي صدام مسلح حدث في مكة أبان دعوة الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) سوى حادثة واحدة. اذ بينما سعد بن وقاص في نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاهبون الى شعب من شعاب مكة يستخفون « بصلاتهم اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد ابن ابي وقاص يومئذٍ رجلا من المشركين بلحى بعير فشجّه فكان أول دم أُريق في الاسلام» (ابن كثير، ٢٠٠٨، ج١، ص٤٨٥) وقد احجمت المصدر عن ذكر ردت الفعل للرسول (صلّى الله عليه وسلّم) عن عمل سعد بن وقاص. كانت حكمة الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) تقتضي ان يصبر المسلمون على اذى المشركين وان يتجهوا الى تقويم أنفسهم وزيادة ايمانهم ولا يجاهر قريش العداء. وهذا واضح من خلال وصاياه للصحابي عمرو بن عبسة حين قدم الى مكة في بداية الدعوة ليعلن اسلامه. يقول عمرو « ألقى في روعي ان عبادة الاوثان باطل. فسمعني رجلا وانا أتكلم بذلك فقال ياعرو بمكة رجل يقول كما تقول. قال فأقبلت الى مكة اسأل عنه فأخبرت انه مختفٍ ولا أقدر عليه الا بالليل يطوف بالبيت فنمت بين الكعبة وأستارها. فما علمت الا بصوته يهلل الله فخرجت اليه فقلت: ما أنت فقال (رسول الله) فقلت وبِمّ أرسلك؟ قال (بان يعبد ولا يشرك به شيء وتحتقن الدماء وتوصل الارحام). قلت ومن معك على هذا؟ قال (حر وعبد) ومعه يومئذٍ أبو بكر وبلال ممن أمن به. فقلت ابسط يدك أبايعك فبسط يده فبايعته على الاسلام فقلت: أقيم معك يا رسول الله. قال (لا ولكن الحق بقومك فاذا سمعت إني قد خرجت فاتبعني) (ابن الاثير، ٢٠٠٦، ج٣، ص٥١١). من خلال هذه الرواية نجد ان الرسول (صلى الله عليه وسلم)

كان شديد الحرص على عدم مجابهة قريش وبخاصةٍ ان هذا الصحابي هو من خارج مكة (يثرب) وان تواجده في هذه المرحلة يعني ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قام بحشد انصاره ومؤيديه لمقارعة قريش فضلا عن حرصه على حياة أصحابه ونظراً لمستقبل الدعوة ألّا يئدها الشر وهي لا تزل غضة طرية ولعل المشركين كانوا يحرصون على مواجهة حاسمة مع الدعوة تنهي امرها (لبيد ابراهيم، ٢٠٠٢، ص١٢٧). يقول ابن هشام « مكث النبي محمد (صلّى الله عليه وسلّم) قبل الهجرة ثلاث عشرة سنة يقابل عداء قريش بالصفح وكان أصحابه يأتونه بمكة مابين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فاني لم اؤمر بقتالهم» (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص١٢٦) اذا كان الجهد في مكة جهاد بالكلمة والموعظة الحسنة ونتيجة لذلك كان لزاماً على رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ان يختار مركزاً سرياً ليجتمع به مع انصاره ومؤيديه؛ لذا فقد وقع اختياره على دار لأحد أصحابه كانت تتوافر به الاجراءات الاحترازية، فكان المقر الذي تدار فيه عملية نشر الدعوة هو دار الارقم بن ابي الارقم [1]. وكان رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) يلتقي بأتباعه ليبلغهم وصاياه ونصائحه وارشاداته وكانت هذه الدار بمثابه مقر ومركز للقيادة فقد حدد رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) لكل فرد من أصحابه عمله بدقة وتنظيم حكيم فالكل ملتزم بتوصيته في الحيطة والحذر والسرية والانضباط التام (الدقس، ١٩٩٤، ص٢٣٧) لقد استطاع الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) ان يربي في المرحلة السرية من الدعوة وفي دار الارقم أفذاذ الرجال الذين عملوا بوصاياه وكان يجتمع بهم ويرشدهم الى الدين متخفياً؛ لان الدعوة كانت لاتزال فردية وسرية وهؤلاء السابقون من بطون وافخاذ قريش وعدّهم ابن هشام اكثر من اربعين نفراً واخرهم عمر بن الخطاب (رض). (ابن هشام، ٢٠٠٧، ج١، ص١٣٦)

اولاً: - المرحلة العلنية:

فشي ذكر الاسلام بمكة ولم يكن خافياً وتحدّث عنه الناس، ودخل بعضهم فيه وقد جاء الامر بعلنية الدعوة في الآية الكريمة {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} (سورة الحجر، اية ٩٤) وفي قوله تعالى {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (سورة الشعراء، اية ٢١٤) فما كان من الرسول إلّا أن نقل دعوته من مرحلة السرّ الى مرحلة العلن ونلخص من خلال الروايات التاريخية ان الإستراتيجية التي إتبعها الرسول (صلّى الله عليه

(١) أرقم بن ابي الارقم بن اسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. أسلم سابع سبعة وكانت داره بمكة على الصفا وهي الدار التي كان النبي (ص) يكون فيها الاسلام ودعيت دار الاسلام وشهد بدرا وأحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله (ص) توفي سنة ٥٥/هـ ينظر: (ابن سعد، ١٩٦٨، ج٣، ص٢٤٢).

وسـلّم) بعـد ان نقـل موضـوع الدعـوة مـن الـسرّ الى العلـن تتمثـل بمحوريـن.

أولا: ـ بـث الدعـوة وجعـل ركائزهـا تنحـصر في بدايـة الامـر في بيـت عبـد المطلـب وذلـك للاعتبـارات التاليـة:

١- امتثالا لأمر الله لقوله {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}.

٢- في حـال قبولهـم لهـذه الدعـوة فقـد ضمـن الدعـم المعنـوي والروحـي لـه وذلـك لمـا يتمتـع بـه بنـي عبـد المطلـب مـن مكانـة الزعامـة والسـيادة في مكـة.

يكـون الرسـول (صـلّى اللـه عليـه وسـلّم) قـد ضمـن القـوة والمنعـة وسـط المجتمـع المكـي القائـم عـلى النزعـة القبليـة والعشـائرية في ذلـك الوقـت.

لـذا فقـد أعـد الرسـول (صـلّى اللـه عليـه وسـلّم) الطعـام لعشـيرته، وكانـوا أكثـر مـن أربعـين رجـلا وحـاول ان يحدّثهـم داعيـا إيّاهـم الى اللـه فقطـع عمـه ابـو لهـب حديثـه ودعـا القـوم الى الانـصراف ولكـن النبـي (صـلّى اللـه عليـه وسـلّم) لـم ييـأس فدعاهـم مـرة أخـرى فلمـا طعمـوا قـال لهـم. مـا أعلـم انسـانا في العـرب جـاء قومـه بأفضـل مـا جئتكـم بخـير الدنيـا والاخـرة وقـد أمرنـي ربـي ان أدعوكـم اليـه فأيكـم يؤازرنـي عـلى هـذا الامـر (الطـبري، ١٩٨٦، ج٢، ص٣٢٠) الا ان القـوم هزئـوا بـه وتركـوه.

فلمـا يـأس رسـول اللـه (صـلّى اللـه عليـه وسـلّم) مـن هـذا الجانـب نـراه لجـأ الى الخيـار الاخـر.

ثانياً: ـ بث الدعوة في جميع أهل مكة.

لجـاء الرسـول (صـلى اللـه عليـه وسـلم) الى هـذا الخيـار مسـتندا الى مـا يتمتـع بـه مـن صفـات حميـدة امتـاز بهـا عـن جميـع اقرانـه مـن صـدق وأمانـة ووفـاء بالعهـود اذ كان يعـرف وسـط ذلـك المجتمـع بالصـادق الأمـين، لـذا فقـد خـرج حتـى صعـد جبـل الصفـا فهتـف « يـا صباحـاه. فقالـوا مـن هـذا الـذي يهتـف قالـوا محمـد. فقـال يـا بنـي فـلان يـا بنـي عبـد المطلـب يـا بنـي عبـد منـاف فاجتمعـوا اليـه فقـال. أرايتكـم لـو اخبرتكـم ان خيـلا تخـرج بسـفح هـذا الجبـل أكنتـم مصدقـي قالـوا مـا جربنـا عليـك كذبـاً. قـال فانـي نذيـر لكـم بـين يـدي عـذاب شـديد. فقـال ابـو لهـب تبـاً لـك مـا جمعتنـا الا لهـذا» (الطـبري، ١٩٨٦، ج٢، ص٣١٨) وهكـذا تغـرق القـوم دون ان يسـمعوا مـا يدعـوا اليـه.

إذن لـم تلـقَ هـذه الخطـوة مـا كان يصبـوا اليـه الرسـول (صـلّى اللـه عليه وسـلّم) من انتشـار للدعـوة التـي جـاء بهـا وذلـك لتعنـت زعامـات مكـة واصرارهـم عـلى الـشرك ومحاربـة رسـول اللـه (صـلّى اللـه عليـه وسـلّم). هـذا فضـلاً عمـا لحـق بأتباعـه مـن أذى واضطهـاد مـن قبـل

قريش (العمري، ١٩٩٥، ج١، ص٣٩). وأزاء هذا كله توجب على الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) بصفته قائدا ان يتخذ التدابير المناسبة التي تتلائم وطبيعة المرحلة التي يمر بها لذلك نجده قد اتخذ قرارا في غاية الأهمية ينم على حسن القيادة والتضحية إذ أمر اتباعه «لو خرجتم الى ارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه» (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص١٢٧) وإذا تأملنا في هذه الوصية لوجدناها تحمل مدلولين.

الأول: الانسحاب من أرض المواجهة للضرورات الأمنية.

الثاني: إنّ للرسول (صلّى الله عليه وسلّم) كماً من المعلومات عن الحبشة ما يؤهله ليكون رؤية شمالية لمستقبل هؤلاء الناس الذين آمنوا برسالته ليكونوا بأمان.

وذلك لعلمه عن طبيعة النظام الحاكم في الحبشة وشخصية الحاكم نفسه من ناحية أخرى وبناء على هذه المعرفة بالواقع صدر هذا الامر الرشيد (القرضاوي، ٢٠٠٥، ص٢٢٨). ويبدو ان سبب اختيار الرسول للحبشة دون سواها يرجع الى انها أقرب الديار للجزيرة العربية ولان شمال الجزيرة، كانت وقتئذ مسرحا للحرب بين بيزنطة وفارس ولأن سكانها مسيحيون من أهل الكتاب وليسوا من المشركين (عبد المنعم ماجد، ١٩٦٠، ص١٠٤). ولو تمعنا في أسماء المهاجرين الى الحبشة لوجدنا ان جل هؤلاء كانوا يتمتعون بحصانه عشائرية داخل مجتمعهم، لكنهم رحلوا على الرغم من ذلك وهذا يتنافى مع طبيعة الآراء القائلة بأن المستضعفين الذين ليس لديهم منعة هم من هاجر « فلو كان الامر كذلك لهاجر أقل الناس وجاهةً وقوةً ومنعةً من المسلمين غير أن الأمر كان على الضد من هذا فالموالي المستضعفون الذين كانوا ينصب عليهم معظم الاضطهاد والتعذيب والفتنة لم يهاجروا انما هاجر رجال ذوو عصبيات لهم من عصبيتهم ما يعصمهم من الاذى ويحميهم من الفتنة وكان عدد القريشيين يؤلف غالبية المهاجرين» (سيد قطب، ١٩٦٧، ج١، ص٢٩). اذن لو تأملنا الغاية من خلال هذه الوصية التي امر بها الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) بالهجرة لوجدنا ما يأتي: ـ

١- للمحافظة على الرعيل الأول من المسلمين من اي محاولة للمساس بهم من المشركين.

٢- اعتبار هؤلاء المهاجرين خلاية دعوية نائمة يستدعون حين الحاجة لهم.

٣- للتخفيف من شدة غضب قريش خاصة ان دعوة الاسلام بدأت تأخذ حيزاً كبيراً في جذب الناس اليها.

٤- إن هجرة هؤلاء المسلمين بحد ذاتها هي جانب اعلامي جذب انظار وسط الجزيرة

العربيــة بظهــور ديــن جديــد في مكــة.

المبحث الاول: ـ / ب / المراسلات الحربية في السرايا والبعوث

بعــد أن هاجــر الرســول (صــلّى اللــه عليــه وســلّم) الى المدينــة واســتقر بهــا شرع في بنــاء دولــة تكــون قاعــدة تنطلــق منهــا القيــم والمفاهيــم الاســلامية التــي كلفــه اللــه بهــا ليبلغهــا للنــاس اجمعــين، لــذا فقــد شرع في اقامــة الاســس المهمــة لإنشــاء أول دار اســلام آنــذاك عــلى وجــه الارض. وكان ذلــك ايذانــا بظهــور الدولــة الاســلامية بــإشراف منشــئها الأول محمــد عليــه الصــلاة والســلام (لقــد كان مــن حســن حــظ البشريــة ان الاســلام تــبرأ مــن أول يــوم مــن هواجــز الجنــس والارض واللســان واســتهدف قيــام الاخــوة العالميــة بــين المؤمنــين) (لويــس دي بريمــار، ٢٠٠٩، ص٣٣). لقــد كانــت الأســس التــي وضعهــا رســول اللــه (صــلّى اللــه عليــه وســلّم) تتمثــل بالأعمــال الثلاثــة الآتيــة:

أولاً: بناء المسجد.

ثانياً: المؤاخاة بين المسلمين (المهاجرين والانصار).

ثالثــاً: كتابــة وثيقــة (دســتور) حــددت نظــام حيــاة المســلمين فيمــا بينهــم وأوضحــت علاقتهــم مــع غيرهــم بصــورة عامــة واليهــود بصــورة خاصــة. (عمــاد الديــن خليــل، ١٩٨٣، ط٧، ص١٦٧)

ومــا كاد الرســول (صــلى اللــه عليــه وســلم) ينتهــي مــن وضــع التنظيمــات الداخليــة لدولــة المدينــة. حتــى توجــه لتنظيــم سياســتها الخارجيــة. وكانــت تتلخــص في محاولــة عــزل قريــش عــن حلفائهــا مــن القبائــل العربيــة المقيمــة بالقــرب مــن المدينــة وذلــك بالتحالــف معهــا وتوثيــق الصــلات بهــذه القبائــل (الملاح، ١٩٩٣، ص٢١٥). وكانــت خطــة الرســول (صــلى اللــه عليــه وســلم) الوقــوف بوجــه قريــش والتعــرض لقوافلهــا التجاريــة التــي تعتمــد عليهــا في حياتهــا الاقتصاديــة وأيهانــا لقوتهــا مــن ناحيــة وأشــعارها بقــوة المســلمين مــن ناحيــة اخــرى وقــد ســاعد عــلى تنفيــذ هــذه السياســة موقــع المدينــة عــلى الطريــق التجــاري المــار مــن مكــة الى الشــام.

فضــلا عــن ذلــك فقــد اذن اللــه لرســوله الكريــم ولأصحابــه الكــرام بقتــال مشركــي قريــش عندمــا « قويــت الشــوكة وأســتند الجنــاح أذن لهــم حينئــذ في القتــال ولــم يفرضــه عليهــم «. (ابــن القيــم، ج٢، ص٥٨)

كانــت اول ايــة انزلــت في القتــال قولــه تعــالى {أُذِنَ لِلَّذِيــنَ يُقَاتَلُــونَ بِأَنَّهُــمْ ظُلِمُــوا وَإِنَّ اللَّــهَ عَــلَى نَصْرِهِــمْ لَقَدِيــرٌ (٣٩) الَّذِيــنَ أُخْرِجُــوا مِــنْ دِيَارِهِــمْ بِغَــيْرِ حَــقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُــوا رَبُّنَــا

اللَّـهُ وَلَـوْلَا دَفْـعُ اللَّـهِ النَّـاسَ بَعْضَهُـمْ بِبَعْـضٍ لَهُدِّمَـتْ صَوَامِـعُ وَبِيَـعٌ وَصَلَـوَاتٌ} (سـورة الحـج، ايـة ٣٩-٤٠) عـن ابـن عبـاس (رض) قـال. ا ن ابـا بكـر (رض) حـين نزلـت هـذه الآيـة قـال فعرفـت انـه سـيكون قتـال (القرطبـي، ١٩٦٧، ج١٢، ص٦٨)، أمـا مضمـون الآيـات التـي جـاء فيهـا الاذن بالقتـال للمسـلمين توحـي بانهـا قـد نزلـت بعـد شروع المسـلمين في الهجـرة الى المدينـة. وكذلـك ان سـياق الآيـة يـدل عـلى ان الاذن بعـد الهجـرة وذلـك في قولـه تعـالى (الَّذِيـنَ أُخْرِجُـوا مِـنْ دِيَارِهِـمْ .....) فقـد ذكـر عـن ابـن عبـاس انـه قـال « انهـا نزلـت عنـد هجـرة الرسـول (صـلى اللـه عليـه وسـلم) الى المدينـة « (ابـن كثـير، تفسـير ابـن كثـير، ٢٠٠٨، ج٣، ص٢١١) ومـن المفيـد ان نذكـر اول ذي بـدء وصايـا الرسـول (صـلى اللـه عليـه وسـلم) في السرايـا والغـزوات أذ ان المهمـات والاهـداف التـي اوكلـت للسرايـا والبعـوث النبويـة كانـت تتفـاوت تبعـا لاختـلاف الظـروف المحيطـة والحادثـة. فكانـت السرايـا الاولى في معظمهـا عبـارة عـن دوريـات اسـتطلاعية واستكشـافية وجـس نبـض. ثـم تطـورت الى سرايـا اعتراضية توقـع الرعـب والفـزع في القوافـل القريشـية. وذلـك قبـل غـزوة بـدر الفاصلـة وعندمـا قويـت شـوكة المسـلمين بعدهـا اصبحـت مهمـة بعـض السرايـا والبعـوث تنصـب في تصفيـة الافـراد مـن اعـداء الدولـة الاسـلامية المندسـين في صفوفهـا (العمـري ب.، ١٩٩٦، ط١، ص٦٤)

هـذا وقـد اختلـف اهـل العلـم مـن اصحـاب المغـازي وغيرهـم في عـدد السرايـا والبعـوث التـي بعثهـا النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم منـذ اعـلان الحـرب عـلى قريـش حتـى توفـاه اللـه عـز وجـل فكانـت عـن ابـي اسـحاق في ذلـك ثـلاث روايـات.

١- رواية نقلها الطبري ذاكرا فيها عنه ان عددها كان خمسة وثلاثين سرية وبعثاً [١].

٢- ذكـر ابـن هشـام في روايتـه عنـه انهـا كانـت ثمانيـة وثلاثـين بعثـاً وسريـة أورد منهـا سـبعة وعشريـن فقـط [٢].

٣- فيما ذكر ابن حجر انه عد ستا وثلاثين سرية وبعثاً [٣].

وكذلـك فقـد اورد الواقـدي روايتـان متقاربتـان حيـث ذكـر المسـعودي عنـه انهـا كانـت ثمانيـة وأربعـين[٤] وذكرهـا هـو في المغـازي سـبعة واربعـين سريـة وبعثـاً. (الواقـدي، ١٩٦٦، ج١، ص٧)

وعد خليفة بن خياط في كتابه احدى وثلاثين سرية. (خليفة بن خياط، ١٩٩٥، ص٦١)

---

(١) ينظر: (الطبري، ١٩٨٦، ج٣، ص١٥٤).

(٢) ينظر: (ابن هشام، ٢٠٠٧)

(٣) ينظر: (ابن حجر، ج١، ص٢٨١).

(٤) ينظر: (المسعودي، ١٩٨١، ص٢٧٨).

ومن المفيد ان نذكر بعض هذه السرايا والتي من خلالها نستطيع ان نتعرف على اهم الوصايا العسكرية للرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن الجدير بالذكر ان المراسلات الحربية في هذه السرايا والبعوث كانت عبارة عن اوامر شفهية يصدرها الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى قائد السرية او البعث والذي بدوره يقوم بتنفيذها على أكمل وجه. وكما هو معلوم ان هذه السرايا والبعوث كانت تختلف الواحدة عن الاخرى من حيث العدد والعدة وبحسب طبيعة الواجب المناط بها والمهمة التي خرجت لأجلها ويمكننا تقسيم هذه السرايا والبعوث الى عدة اقسام هي:

أولاً: ـ سرايا استطلاعية واعتراضية.

ثانياً: ـ سرايا تعقبية.

ثالثاً: ـ سرايا ذات مهمات خاصة

أولاً: ـ سرايا استطلاعية واعتراضية.

مما لا شك فيه ان المسلمين بعد ان استقروا في المدينة اخذ الخطر يحدق بهم من كل جانب روي عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله واصحابه المدينة وأوتهم الانصار رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون الا بالسلاح ولا يصحبون الا فيه (الواقدي، ١٩٦٦، ص٢١). لذا نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصفته القائد العام للقوات الاسلامية أخذ على عاتقه اصدار اوامر (شفهية) بتسيير سرايا وبعوث استطلاعية. القصد منها رصد اي تحرك عسكري يستهدف المدينة وكذلك لاعتراض قوافل قريش لأشعارهم بالخوف والفزع من قوات المسلمين ومن اهم هذه السرايا والبعوث هي: ـ

سرية حمزة الى سيف البحر

القائد الأعلى للحملة: حمزة بن عبد المطلب

حامل لواء الحملة: ابو مرشد الغنوي[١]

عدد جنود السرية: ثلاثون مقاتلاً من المهاجرين.

الميدان المفترض للاشتباك مع العدو: سيف البحر من ناحية العيص[٢].

---

(١) هو كناز بتشديد النون ابن الحصين بن يربوع الغنوي ابو مرشد. صحابي بدري مشهور بكنيته مات سنة اثني عشرة من الهجرة.

(٢) العيص: موضع في بلاد بني سليم به ماء يقال له ذنبان العيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش التي كانوا يأخذون منها الى الشام (ياقوت الحموي، ٢٠١٠، ج٤، ص١٧٣).

مهمة هذه السرية: الاستحواذ على قافلة لقريش.

تاريخ انطلاق هذه السرية: شهر رمضان في السنة الاولى للهجرة.

اما عن جانب العدو فقد توفرت المعلومات الآتية.

عدد افراد هذه القافلة بحدود ٣٠٠ رجل

تأتمر هذه القافلة بإمرة عمرو بن هشام (ابو جهل).

النتائج المتحققة من هذه السرية: يمكن القول: إنّ الصدى الاعلامي الكبير لهذه الحملة هو غاية ما حققته هذه السرية اذ شعرت قريش ان شريان الحياة بالنسبة اليها (التجارة مع الشام) بات مهدداً بالانقطاع. اما على الواقع الميداني فلم يحدث اشتباك فعلي بين المؤمنين وذلك ان مجدي بن عمرو الجهني حجز بينهم وكان موادعاً للفريقين. (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٢٤٥)

سرية عبيد بن الحارث

القائد الأعلى للسرية: عبيد بن الحارث بن عبد المطلب

حامل لواء السرية: مسطح بن أثاثة

عدد جنود السرية: ستين مقاتلاً من المهاجرين.

الميدان المفترض للاشتباك مع العدو: الى بطن رابغ... ثنية المرة ...على ماء يقال له احياء (الطبري، ١٩٨٦، ج٢، ص٤٠٢) مهمة السرية: التعرض لقافلة تجارية لقريش.

تاريخ انطلاق السرية: في شوال على رأس ثمانية من أشهر من مهاجر رسول الله. (ابن سعد، ١٩٦٨، ج٢، ص٢)

النتائج التي حققتها هذه السرية: قامت هذه السرية بالاشتباك مع العدو «وهو اول يوم التقى فيه المسلمون والمشركون في قتال» (البيهقي، دلائل النبوة، ج٣، ص٩) ولكن القتال اتخذ طابع المناوشة بالسهام فقط، ويبدو ان السبب بذلك يرجع الى الفارق العددي بين الطرفين اذ كانت قوة المشركين يقودها ابو سفيان ابن حرب وتقدر بمئتين مقاتل. « فكان أول من رمى بسهم في الاسلام سعد بن أبي وقاص نثر كنانته وتقدم أمام أصحابه وترس اصحابه عنه» (الواقدي، ١٩٦٦، ص٤٥) لذلك لم يحدث صدام مباشر بين الطرفين يقول ابن سعد « انما نكبوا عن الطريق ليرعوا ركابهم فكان بينهم الرمي ولم يسلوا السيوف ولم يصطفوا للقتال، وإنّما كانت بينهم المناوشة». (ابن سعد، ١٩٦٨، ج٢، ص٢)

سرية سعد بن ابي وقاص

في هذه السرية وكما في كل السرايا الاخرى نجد ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد حصوله على معلومات تفيد ان قافلة لقريش ستمر بمنطقة (الخرار)[١] أمره بتجهيز سرية بإمرة سعد بن ابي وقاص (رض) وأصدر أوامره الشفهية له بقوله: (أخرج يا سعد حتى تبلغ الخرار فان عير لقريش ستمر به). (الواقدي، ١٩٦٦، ص٤٥)

فكانت هذه السرية على النحو الآتي:

القائد الاعلى للسرية: سعد بن ابي وقاص

عدد جنود السرية: عشرين رجلاً.

الميدان المفترض للاشتباك مع العدو: الخرار.

مهمة السرية: الاستحواذ على قافلة لقريش.

تاريخ انطلاق السرية: في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من هجرة رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم).

النتائج المتحققة من السرية: لم تشتبك مع العدو وذلك لمرور القافلة قبل وصول سرية سعد فرجع ولم يلقَ كيدا. (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٢٤٧)

سرية عبد الله بن جحش

القائد الأعلى للسرية: عبد الله بن جحش[٢].

تاريخ ارسال السرية: في رجب على راس سبعة عشر شهراً من هجرة رسول الله (ص).

مكان السرية: الى بطن نخلة – وهو بستان ابن عامر بقرب مكة. (ابن سعد، ١٩٦٨، ج٢، ص٥)

مهمة السرية: جمع معلومات عن العدو.

عدد المقاتلين: ثمانية رجال من المهاجرين.

ويمكن القول: إنّ هذه السرية هي الوحيدة التي تلقت المعلومات مكتوبة من القائد الأعلى فحين استدعى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عبد الله بن جحش (رض) وكلّفه بالمهمة وأعطاه (كتابا مكتوباً) وامره ان لا يقرأ الكتاب حتى يبلغ الملل (الطبري، ١٩٨٦، ج٢، ص٤١١) امتثل قائد السرية عبد الله بن جحش للأوامر فسار مع أصحابه

(١) هو موضع بالحجاز يقال هو قرب الجحفة وقيل واد من اودية المدينة، ينظر: (ياقوت الحموي، ٢٠١٠، ج٢، ص٣٥٠).

(٢) هو المجدع في الله عبد الله بن جحش بن رياب الاسدي ابو محمد حليف بني عبد الشمس. وأمه اميمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله (ص) أحد السابقين هاجر الهجرتين وشهد واستشهد بأحد ومثل به. استجابة لدعوته قبل المعركة. قال الزبير كان يقال له: المجدع في الله. كان له يوم قتل نيف واربعين سنة ودفن هو وحمزة في قبر واحد، ينظر: (ابن حجر، الاصابة، ج٢، ص٢٨٦).

الى هدفه وبعد مضي يومين فتح الكتاب فاذا فيه (إذا نظرت في كتابي هذا فامضي حتى تنزل نخلة. بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من اخبارهم) (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٢٤٩) مضي عبد الله وبقية اصحابه حتى نزل بنخلة فمرت به عير لقريش تحمل زبيب وأدما. وعلى الفور اشتبكوا معهم في قتال سريع تمكنوا به من قتل شخص واسر اثنين والاستيلاء على القافلة. فاعده الى المدينة فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « اما امرتكم بقتال في الشهر الحرام» (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٢٤٩) فظن هؤلاء المقاتلين انهم هلكوا لأنهم خالفوا امر رسول الله حتى نزل الله بهم آيات محكمات قال تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ}. (سورة البقرة، اية ٢١٧)

المبحث الثاني / ـ / أ / المراسلات الحربية في مغازي الرسول (صلّى الله عليه وسلّم)

بلغت المدة التي اعقبت هجرة الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) الى يثرب وحتى معركة بدر الكبرى ما يقارب تسعة عشر شهرا، ولم يحدث خلالها اي صراع مسلح بين القوات الاسلامية وقوات المشركين باستثناء ما حدث في السرية التي قادها عبد الله بن جحش والتي تلتها معركة بدر. ومن الجدير بالذكر ان الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) قاده بنفسه مجموعة من الغزوات التي لم تسفر عن صدام مسلح وكانت من أهم نتائجها إلحاق الأذى بتجارة قريش التي تعيش عليها وهدد مكة بالحصار الاقتصادي لمحاولته حرمانها من سلوك طريق مكة الشام بأمان (محمود شيت خطاب، ١٩٩٥، ص٦١). أما الأوامر والمراسلات الحربية فقد كان الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) يصدرها بصفته قائد عاماً للقوات الاسلامية ومن اهم هذه الغزوات هي:

غزوة الأبواء او غزوة ودان[١]

قاد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مجموعة من المقاتلين المسلمين تقدر بمئتين مقاتل ما بين فارس وراجل وهدف الغزوة الوصول الى (ودان)؛ لتهديد طريق قريش التجارية بين مكة والشام. انطلقت هذه الحملة في شهر صفر من السنة الثانية للهجرة وعاد بدون ان يلقى قوات المشركين. الا انه عقد معاهدة عدم اعتداء مع قبائل بني خمرة بن بكر بن كنانة. (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٢٤٣)

(١) ودان: بفتح الواو هي بلدة جامعة من اعمال الفرع بضم الفاء وسكون الراء وتسمى ايضا (غزوة الابواء) فمنهم من اضافها الى (ودان) ومنهم من اضافها الاى (الابواء) لأنها موضان متقاربان في وادي الفرع.

غزوة بواط[١]

وهي دورية قتال قوامها مئتا مقاتل قادها الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى منطقة بواط على الطريق التجاري الرابط بين مكة والشام. وذلك في ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة. وكان هدف هذه للهجرة. الغزوة الايقاع بقافلة تجارية لقريش يحرسها أُمية بن خلف وكان معه مئة مقاتل وعندما علمت القافلة بخروج المسلمين اسرعت بحركتها وسلكت طريقا اخر غير الطريق المعتاد. فرجع رسول الله الى المدينة دون ان يلقي كيداً. (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٢٤٦)

غزوة العشيرة

وهي من الغزوات الاعتراضية التي قادها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)) وكان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب بعد ان استعمل على المدينة ابا سلمة بن عبد الأسد وكان إجمالي القوة التي خرج بها الرسول مئتا مقاتل وذلك في جمادى الأول من السنة الثانية للهجرة (ابن سعد، ١٩٦٨، ج٢، ص٤). الى موضع العشيرة بمنطقة ينبع للاستيلاء على قافلة لقريش الا انه لم يلقَ كيدا. الا ان الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) عقد في اثناء هذه الغزوة معاهدة عدم اعتداء مع بني مدلج وحلفائهم من بني حمزة (الواقدي، ١٩٦٦، ص٤٦). ونلاحظ من خلال هذه النصوص حرص القيادة الاسلامية على التعرف على الطرق المحيطة بالمدينة والمؤدية الى مكة.

غزوة بدر الاولى او سفوان

وهي واحدة من الغزوات التعقبية التي قادها الرسول (صلى الله عليه وسلم) بنفسه وذلك بعد ان وصل خبر قيام قوة عسكري للمشركين يتزعمها كرز بن جابر الفهري بالإغارة على سرح المدينة ونهب بعض المواشي. أصدر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أوامره بتجهيز قوة عسكرية لتعقب الغزاة تحت إمرته وكان حامل اللواء علي بن ابي طالب (ابن سعد، ١٩٦٨، ج٢، ص٤) واستخلف على المدينة زيد بن حارثة وذلك في جمادى الاخرة من السنة الثانية للهجرة. وقد وصل رسول الله في مطاردته حتى وصل الى وادي (سفوان) قريبا من بدر ولكنه لم يدركهم (الواقدي، ١٩٦٦، ص٤٧) فعاد دون ان يلقى حرباً.

(١) بواط: بضم الباء الموحدة هو جبل من جهينة بناحية رضوى.

غزوة بدر الكبرى

تعدّ غزوة بدر واحدة من الغزوات الاعتراضية التي قادها رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) للاستحواذ على قافلة تجارية من قوافل قريش. ومن خلال النصوص التاريخية وروايات كتاب السير والمغازي يمكن القول: إنّ مسلمي المدينة لم يكونوا مهيأين من ناحية العدد والعدة لملاقات قريش في معركة فاصلة، وذلك لان اجمال القوة التي خرجت هي لاعتراض قافلة لقريش قادمة من الشام تضم ألف بعير يقودها ابو سفيان عند ذلك ندب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اصحابه قائلاً "هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعلّ الله ينفلكموها" (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٢٥٠) ونظرا الى ان نداء رسول الله لم يكن ملزما بل كان ندبا فقد خرج بعض المسلمين لمهاجمة القافلة وتخلّف بعضهم. " فخرجوا لا يريدون الا ابا سفيان والركب معه لا يرونها الا غنيمة لهم لا يظنون ان يكون كبير قتال إذا لقوهم" (الطبري، ١٩٨٦، ص٤٣٠) وهذا القول يفسر ضآلة عدد الذين خرجوا مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) اذ كانوا لا يتجاوزون ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا (ابن سعد، ١٩٦٨، ص٦) بينهم ٨٣ من المهاجرين و٦١ من الاوس و١٧٠ من الخزرج. اما ابو سفيان فما ان سمع نبأ تحرك المسلمين لمهاجمة القافلة حتى أرسل الى مكة على جناح السرعة ضمضم بن عمرو الغفاري وأمره ان يأتي قريشاً فيستفرهم الى اموالهم وما ان وصل ضمضم الى مكة حتى جدع بعيره وحول رحلة وشق قميصه وراح يصرخ يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة اموالكم مع ابي سفيان قد عرض لها محمد في اصحابه لا أرى ان تدركوها الغوث الغوث (الواقدي، ١٩٦٦، ص٥٩) ثم ان ابي سفيان " ضرب وجه عيره عن الطريق فساحل بها وترك بدرا بيسار وانطلق حتى أسرع" (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٢٥٥). وبذلك يكون قد تمكن من النجاة والافلات من القوات الاسلامية والتي رتبها القائد الاعظم محمد (صلى الله عليه وسلم) على الشكل الآتي:

١- دورية استطلاع أمامية للحصول على المعلومات عن اتجاهات القافلة.

٢- القوة الضاربة التي يقودها وقد قسّمها الى قسمين:

أ- كتيبة المهاجرين ورايتها مع علي بن أبي طالب.

ب- كتيبة الانصار ورايتها مع سعد بن معاذ. (الطبري، ١٩٨٦، ج٢، ص٤٣١)

انطلق المسلمون مسرعين للاستحواذ على القافلة فلما وصلوا قريبا من (الصفراء) بعث الرسول (ص) دورية استطلاعية قوتها رجلان الى (بدر) للحصول على معلومات عن

قريش وقافلتها وقد كانت أوامر الرسول في إلزام السرية والكتمان حتى انه أمر بقطع الأجراس من أعناق الإبل (كنعان، ١٩٩٧، ص٢٧) فلما وصل المسلمون (وادي ذفران) جاءهم الخبر بخروج قريش من مكة لنجدة قافلتهم. وكانت قريش حين اتاها مبعوث ابو سفيان ضمضم بن عمرو الغفاري سارعوا الى إجابة النداء وهرعوا الى الكعبة وهم يقولون أيظن محمد وأصحابه ان تكون كعير ابن الحضرمي (الذي كان قد قتل في سرية ابن جحش) كلا والله ليعلمن ذلك فكانوا بين رجلين اما خارجاً واما باعثاً مكانه رجلا وتجمعت قريش كلها تسع مائة وخمسين مقاتلا تصحبهم مئة فرس ولم يتخلف من اشرافها أحد. (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٢٥١)

وما أن علم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمسيرة قريش حتى جمع مقاتليه وأطلعهم على هذا التطور الخطير وطلب مشورتهم فأدلى ابو بكر برأيه وأحسن ثم قام عمر بن الخطاب فأدلى برأيه ثم قام المقداد بن عمرو فقال رأيه. فقال رسول الله اشيروا علي ايها الناس. وكان يريد بكلمته هذه الانصار الذين بايعوه يوم العقبة على ان يمنعوه مما يمنعون منه ابناءهم ونساءهم ولم يبايعوه على صد اعتداء خارج مدينتهم (الواقدي، ١٩٦٦، ص٤٥). فلما أحس الانصار ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يريد سماع رأيهم قام سعد بن معاذ وقال والله لكنك تريدنا يا رسول الله فقال (اجل) قال سعد لقد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامضِ يا رسول الله لما اردت فو الذي بعثك بالحق ان استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله. (الطبري، ١٩٨٦، ج٢، ص٤٣٤) ازاء هذه ا لتطورات اصبحت المواجه بين الطرفين حتمية وكانت نسبة القوى بينهما قبل نشوب المعركة ما نراه في الجدول الآتي:

التبيان	القوات الإسلامية	قوات المشركين
المقاتلون	قرابة ٣١٤	٩٥٠
الإبل	قرابة ٧٠	٣٥٠
الخيل	٢	٢٠٠

تقدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأصحابه حتى إذا جاء أدني ماء من بدر نزل به فسأله الحباب بن المنذر يا رسول الله ارايت هذا المنزل امنزل انزلك الله ليس لنا ان نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ ام هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال بل هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال الحباب: يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدني ماء من القوم فنزله ثم نغور ما وراءه ثم نبني عليها حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقد اشرت بالرأي (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٢٥٦). ونلاحظ ان الرسول (ص) قد طبق في (مسير الاقتراب) من المدينة الى (بدر) تشكيلا لا يختلف بتاتا عن التعبئة الحديثة في حرب الصحراء. كانت له مقدمة وقسم أكبر ومؤخرة واستفاد من دوريات الاستطلاع للحصول على المعلومات وتلك هي الاساليب لتشكيلات مسير الاقتراب في حرب الصحراء حتى في العصر الحاضر. (محمود شيت خطاب، ١٩٩٥، ص٨١)، وما ان وصلت قوات قريش حتى خرج رسول الله (ص) يحض اصحابه على القتال والقى عليهم كلمة قبيل المعركة قال فيها " والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة " (ابن سعد، ١٩٦٨، ج٢، ص١٢). ثم أصدر توجيهاته الى قادة جيشه بان لا يبدؤوا بالقتال حتى يتلقوا منه الاوامر الاخيرة وقال لهم " إذا اكتنفتم العدو (اي احاط بكم) فأنضحوهم بالنبل ". (الطبري، ١٩٨٦، ج٢، ص٤٣١)

سير الاعمال القتالية:

كان اول وقود المعركة أحد فدائيي المشركين.. الاسود بن عبد الاسد المخزومي، كان رجلا شرسا، فقد عاهد الله، ليشربن من حوض المسلمين أو ليهدمنه، او ليموتن دونه.

لذلك انقض من صفوف المشركين متحدياً المسلمين، متجها نحو الحوض ليبر بقسمه، ولكن حمزة ابن عبد المطلب، أسرع من صفوف المسلمين فاعترضه، - وعالجه قبل ان يصل الى الحوض بضربة من سيفه بترت قدمه مع نصف ساقه، فجثا في اصرار وعناد، وزحف نحو الحوض حبوا ليبر بقسمه، ولكن حمزة ثنى عليه بضربة اخرى اجهزت عليه وهو داخل الحوض. (ابن سعد، ١٩٦٨، ج٢، ص١٥)

وكان هذا المخزومي أول قتيل في معركة بدر، وكان مقتله بمثابة الشرارة التي اشعلت نار المعركة.

فقد خرج بعد ذلك من صفوف المشركين ثلاثة من فرسان قريش محاربيهم، ومن اسرة واحدة، وهم:

شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابنه الوليد، وكلهم من ابناء عبد مناف جد الرسول العربي.

وبعد ان وقف هؤلاء بين الصفين دعوا المسلمين الى المبارزة، فسارع بالخروج إليهم ثلاثة من فتيان الانصار، وهم عوف ومعوذ أبناء عفراء وعبد الله بن رواحة وكما هي عادة المبارزة، سأل القريشيون هؤلاء الثلاثة من اية قبيلة هم؟..

فانتسبوا لهم، وعندما علموا أنهم من الانصار، اثنوا عليهم وقالوا: أكفاء كرام، ولكنهم رفضوا مبارزتهم وطلبوا منهم العودة الى صفوفهم قائلين.. انما نريد اكفاءنا من قومنا، فرجع الانصار الثلاثة الى صفوفهم دونما قتال. (الواقدي، ١٩٦٦، ص٨٣)

ولما علم الرسول العربي برغبة فرسان المشركين الثلاثة أصدر امره الى ثلاثة من اسرته، وهم حمزة ابن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث، وعلي بن ابي طالب، وكلهم من بني عبد مناف وطلب إليهم الخروج الى اقربائهم لمبارزتهم حسب طلبهم، فخرجوا إليهم في الحال، وبعد ان انتسبوا لهم وتأكدوا انهم من اسرتهم، قالوا: اكفاء كرام.

ثم نشب الصراع بين الفرسان المتبارزين، فانفرد كل واحد منهم بصاحبه الذي اختاره. فبارز الوليد عليا وكان أصغر المتبارزين، وبارز عبيدة شيبة، اما حمزة فقد بارز عتبة.

أما علي فلم يمهل صاحبه فقتله ، وكذلك فعل حمزة فقد قضى على خصمه عتبة في الحال ، اما عبيدة – وكان اسن القوم – وشيبة فقد ضرب كل منهما صاحبه ضربة مميتة لم يقو على التحرك بعدها من مكانه ، وكر حمزة وعلي بأسيافهما على شيبة فقتلاه ، واحتملا صاحبهما عبيدة الى معسكر المسلمين ومخ فخذه المبتور ينزف وما لبث طويلا ان لفظ انفاسه الطاهرة بين يدي الرسول العربي وبينما كان يجود بنفسه وراسه على قدمي الرسول التفت الى النبي وقال : الست شهيدا يا رسول الله ! .. قال بلى ، فقال عبيدة : لو كان ابو طالب حيا لعلم اني احق بما قال منه حيث يقول :

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل

(الطبري، ١٩٨٦، ج٢، ص٤٤٦)

كانت نتيجة المبارزة بداية سيئة للمشركين، اذ فقدوا ثلاثة من خيرة رجالهم، لذلك استشاطوا غضبا وشدوا على المسلمين شدة رجل واحد – بعد ان مهدوا لهجومهم

برشقات كثيفة من سهامهم – صبوها على صفوف المسلمين.

تلقى المسلمون هجوم المشركين وهم مرابطون في مواقعهم ، كما امرهم الرسول العربي وكانوا يصوبون سهامهم على المشركين عندما يقتربون منهم وبقوا في صفوف متراصة يقاتلون في جبهة متماسكة ، وقد الحق المسلمون ، بتكتيكهم هذا، خسائر فادحة في صفوف المشركين الذي عاودوا الهجوم اكثر من مرة ، فلم يفلحوا في زحزحة المسلمين عن مواقعهم ، وعندما خفت حدة هجمات المشركين وفترت حماسة جندهم اصدر الرسول العربي اوامره الى كتائب جيشه بشن الهجوم المعاكس وقال لهم : "شدوا" (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٢٥٧) فاندفع المسلمون في صفوف منظمة متراصة على جموع المشركين التي بعثرها تكرار الهجمات الفاشلة ، وعندما استعر لهيب المعركة نزل الرسول العربي من مقر قيادته مع فصيلة الحراسة وعامة اصحابه وخاض المعركة بنفسه وكان في مقدمة القوات المهاجمة يثب في درعه وهو يقول {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ)}. (القمر، اية ٤٥-٤٦)

وبعد قتال مرير ظهرت علامات الاضطراب والفوضى في صفوف المشركين واخذت تتلاشى امام القوات الاسلامية الظافرة وهكذا اقتربت المعركة من نهايتها، فدب الهلع في نفوس قريش، ثم اخذت جموعها في الفرار فعمت الهزيمة، وركب المسلمون ظهور المشركين، يأسرون ويقتلون، وعندها رأى الرسول العربي صرح الطغيان يتحطم وكبرياء الجاهلية تتمرغ في وحل الهزيمة فاخذ حفنة من الحصى وقذف بها الى المشركين وصاح بهم: "شاهت الوجوه". (ابن سعد، ١٩٦٨، ج٢، ص١١)، وقد حاول ابو جهل في عناد ومكابرة فريدين ان يمنع بصموده مع نفر من رجاله وثبت معه ابنه عكرمة واخذوا يذبون عنه وضربوا حوله سياجا من سيوفهم ورماحهم.. ولكن العاصفة كانت اقوى فقد مزقت رياح النصر العاتية السياج الذي ضرب حول ابي جهل (لبيد ابراهيم، ٢٠٠٢، ص١٥٧)، وتخلى حرس الشرك عند قائده، امام ضغط المسلمين المتزايد الذين سد هتافهم اجواء المعركة وهم يرددون: أحد.. أحد.. وكانت هذه الكلمة ... كلمة التعارف بين المسلمين. وخر ابو جهل صريعا يتخبط في دمه بعد ان قاتل قتالا ضاريا (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٢٦٣).

وبعد مقتل ابي جهل تفرق المشركون من صناديد مكة وفرسانها منهزمين لا يلوون على شيء. وبدأت مطاردة المسلمين فلول المشركين، واخذوا يجمعون الغنائم والاسرى.

وقد بدأت معركة بدر صباح يوم الجمعة ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة،

وانتهت مساؤه، وبقي المسلمون ثلاثة ايام في بدر بعد المعركة. ثم غادروها عائدين الى المدينة. (الواقدي، ١٩٦٦، ص١٢٧)

غزوة أحد:

عندما هزمت قريش في معركة بدر وفتك المسلمون بعدد من قادتها وزعمائها وهدمت هيبتها في نفوس العرب صممت على الانتقام من المسلمين ومهاجمتهم في عقر دارهم، لاستعادة هيبتها ونفوذها. لذا جيشت الجيوش وبدأت التحرك نحو المدينة كان العباس بن عبد المطلب يرقب عن كثب حركات قريش واستعداداتها العسكرية وعلى الرغم من انه لم يكن قد انخرط في صفوف المسلمين آنذاك لذلك فقد بعث من مكة برسالة مع أحد رجاله الامناء ضمنها تفصيلات كاملة عن حملة مكة. (اليعقوبي، ج٢، ص٣١)

اما في المدينة فيمكن ان نلخص اهم الاجراءات التي اتخذها الرسول (صلى الله عليه وسلم) بصفته القائد العام للقوات الاسلامية وتتمثل بما يأتي: ـ

عقد رسول الله مجلساً عسكريا حضره اهل الراي من المدينة وكان رأيه "فان رأيتم ان تقيموا في المدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان اقاموا – اقاموا بشر مقام.. وان هم دخلوا علينا قاتلناهم بها" (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٣٢٤) اي اراد ان يتحصن بالمدينة واجبار قريش وجرها لحرب المدن والشوارع لكن كثيرا من المسلمين كانوا متحمسين للخروج ومقاتلة المشركين فما كان من رسول سوى الموافقة على رأي الاغلبية فعدوا العدة وتوجه لملاقات العدو فكان خروجه " عشية الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شوال". (خليفة بن خياط، ١٩٩٥، ص٢٧)

وقبل طلوع الفجر بقليل سار الرسول (صلى الله عليه وسلم) بجيشه حتى إذا وصلوا الشيخين تمرد عبد الله بن ابي وقفل راجعا الى المدينة (انخزل عن رسول الله بثلاثمائة). (الطبري، ١٩٨٦، ج٢، ص٥٠٤)

كانوا قد خرجوا مع جيش النبي (صلى الله عليه وسلم) وكان هؤلاء جميعا من المنافقين. وقد برر رأس النفاق خيانته هذه بأن الرسول لم يعمل برأيه حين اشار بمقاتلة المشركين في داخل المدينة."، يقول عصاني واطاع الولدان ومن لا رأي له ". (ابن سعد، ١٩٦٨، ج٢، ص٢٧)

واصل الرسول السير نحو أحد بسبعمائة مقاتل من المسلمين ليلاقي بهم ثلاثة الآف مقاتل يفضلونهم في التسليح والتموين وفي كل شيء (الا العقيدة والايمان). وكان المشركون

قد سبقوا المسلمين الى وادي قناة وعسكروا فيه بالسبخة، وكان الرسول حديث عهد في المنطقة فطلب الى أحد الادلاء ان يقوده الى طريق يصل الى الشعب من وادي أحد فلا يمر على جيش المشركين المنتشر في السبخة من الوادي، الذي كان يحول في مناطق كثيرة بين المسلمين وبين الشعب من أحد.

قال الرسول لأصحابه: " من رجل يخرج بنا على القوم من كثب، من طريق لا يمر بنا عليهم" فقال ابو خيثمة (أخو بني الحارث) انا يا رسول الله فنفذ به من حرة بني حارثة وبين مزارعهم متجها بهم شمالا نحو جبل أحد (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٣٢٥)، تاركا جيش المشركين عن شماله وغربا. ثم مضى الرسول بجيشه حتى قطع وادي قناة ووصل الى مدخل الشعب من أحد – وهو المطل على وادي قناة الذي رابط فيه المشركون – فعسكر بجيشه " وجعل أحد خلف ظهره واستقبل المدينة" (ابن سعد، ١٩٦٨، ج٢، ص٢٧) وعلى هذا أصبح جيش المشركين فاصلا بين المسلمين والمدينة. ثم قام بتوزيع المهام حيث اختار الرسول خمسين رجلا من خيرة الرماة واسند قيادتهم الى عبد الله ابن جبير "اخي بني عمر بن عوف" وهو يومئذٍ معلّم بثياب بيض وطلب إليهم ان يرابطوا في جبل عينين (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٣٢٥) – المسمّى اليوم بجبل الرماة – ويقع هذا الجبل الصغير جنوب غرب معسكر المسلمين، على ضفة الوادي الجنوبية، وعلى بعد يقارب مئة وخمسين مترا من مقر قيادة الجيش الاسلامي. (حسين عبد الحميد نبيل، ١٩٩١، ص١٨٠)

وكان الهدف من وضع مفرزة الرماة في الجبل هو حماية جيش المسلمين من خطر الالتفاف، ومنع المشركين من الوصول الى مؤخرة الجيش، ذلك ان الرسول كان يعلم ان لدى المشركين قوة كبيرة من الفرسان لا تقل عن مائتي فارس بقيادة خالد بن الوليد وان هذه القوة المتحركة هي المصدر الذي يمكن ان يأتي منه الخطر على الجيش الاسلامي (محمود شيت خطاب، ١٩٩٥، ص١١٩). لذلك حرص الرسول اشد الحرص على احتلال جبل الرماة واعطى توجيهاته العملياتية لقائد المفرزة على مسمع من جنوده ومما قاله لهم:

ـ " انضحوا الخيل بالنبل، لا يأتونا من خلفنا ".

ـ " احملوا لنا ظهورنا لا يأتونا من خلفنا وارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقدم على النبل، انا لانزال غالبين ما ثبتم مكانكم، اللهم إني اشهدك عليهم ".

ـ " ان رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم، حتى أرسل اليكم، وان رأيتمونا

ظهرنا على القوم وأوطأناهم في تبرحوا حتى أرسل اليكم، وان رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا، وان رأيتمونا نقتتل فلا تغيثونا ولا تدافعوا عنا ". (النمري، ١٩٨٥، ص١٠٥) بعد ان اطمأن الرسول العربي الى وضع مفرزة الرماة، التفت الى تنظيم تراتيب القتال، لانساق الجيش الاسلامي. وحتى يعوض الرسول عن كثرة جيش المشركين الذي يزيد عن تعداد جيشه، اربعة اضعاف، اعتمد على نوعية الرجال فجعل في مقدمة الصفوف نخبة ممتازة من صناديد المسلمين ورجالاتهم المشهورين بالنجدة والبسالة ليكونوا الطليعة القوية للجيش الاسلامي حين تلتحم الجموع. وكان في مقدمة هؤلاء حمزة بن عبد المطلب وعلي بن ابي طالب وعمر بن الخطاب والزبير بن العوام وابو بكر الصديق ومصعب بن عمير وطلحة بن عبيد الله وعبد الله بن جحش وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وابو دجانة وانس بن النضر وغيرهم من اهل الباس واليقين. (عماد الدين خليل، ١٩٨٣، ص١٦٠)

وقد اسند الرسول العربي الى كتيبة من المسلمين بقيادة الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود مهمة الصمود في وجه فرسان خالد بن الوليد بالتعاون مع مفرزة الرماة.

وبعد ان اتم الرسول (صلى الله عليه وسلم) تعبئة جنده وتنظيم تراتيب القتال لجيشه جرد سيفا باترا، ثم عرض السيف على اصحابه ونادى فيهم " من يأخذ هذا السيف بحقه "؟. فقام اليه رجال ليأخذوه فامسكه عنهم ومن هؤلاء الرجال، علي بن ابي طالب، والزبير بن العوام، وعمر بن الخطاب. ثم قام اليه ابو دجانة – وكان الرسول يقصده – فقال: وما حقه يا رسول الله؟.. فقال الرسول العربي: (تضرب به حتى ينحني ولا تقتل به مسلما، ولا تفر به عن كافر). (الواقدي، ١٩٦٦، ص١٨٢)

فقال ابو دجانة – سماك بن خرشة –: ((انا آخذه)).. فدفعه اليه وكان أبو دُجانة الانصاري رجلا شجاعا مهيبا يختال ويتبختر في مشيته عند الحرب وكانت، له عصابة حمراء، تسمّى عصابة الموت، اذا اعتصب بها، علم الناس انه سيقاتل حتى الرمق الأخير، ولهذا فانه لما اخذ السيف من الرسول (صلى الله عليه وسلم) اخرج عصابته الحمراء وعصب بها رأسه، ثم خرج يتبختر بين الصفين ولما رآه النبي العظيم قال: ((انها لمشية يبغضها الله الا في هذا الموطن)) (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٣٢٦)، اما المشركون فقد قاموا بتنظيم جيشهم في بطن وادي قناة وهو مكان منخفض بالنسبة لجيش المسلمين الذي احتل المرتفع من الشعب . وكان تنظيم جيش مكة هذه المرة على طريقة الصفوف، حيث اعطت قريش قيادة الميمنة لخالد بن الوليد، وقيادة الميسرة لعكرمة

بـن ابـي جهـل. والقائـد العـام ابـو سـفيان في الوسـط، واسـندت قيـادة المشـاة لصفـوان ابـن اميـة وقيـادة الرمـاة لعبـد اللـه بـن أبـي ربيعـة. (النمـري، ١٩٨٥، ص١٠٥)

كان المشركـون يـوم أحـد، البادئـين بالهجـوم. فقـد قامـت مفـرزة مـن مشـاتهم بقيـادة ابـي عامـر الراهـب[١]. تسـاندها كوكبـة مـن الفرسـان بقيـادة عكرمـة بـن ابـي جهـل عـلى ميـسرة الجيـش الاسـلامي، بغيـة تحطيمهـا والتـسرب الى داخـل الشـعب لـضرب المسـلمين مـن الخلـف، واحـداث الارتبـاك في صفوفهـم. ولكـن مواقـع الجيـش الاسـلامي التـي اختارهـا الرسـول (صـلى اللـه عليـه وسـلم) لمرابطـة قواتـه قبـل المعركـة وتمركـز الرمـاة في جبـل عينـين عنـد مدخـل الشـعب، أحبطـا هـذه المحاولـة اذ قوبـل هجـوم الفرسـان برشـقات محكمـة مـن النبـال. كمـا تصـدى المسـلمون المشـاة بقيـادة (الزبـير والمقـداد) للمهاجمـين وقاوموهـم مقاومـة عنيفـة وأرغموهـم عـلى الارتـداد. وقـد سـاعد في تشـتيت المهاجمـين، رجـال مـن المسـلمين رابطـوا في مواقـع مختـار مـن جبـل أحـد، قذفـوا المهاجمـين بالحجـارة ودحرجـوا عليهـم الصخـور واجبروهـم عـلى الابتعـاد عـن سـفح الجبـل.

وقـد عـاود فرسـان مكـة الهجـوم ثـلاث مـرات ولكنهـم أخفقـوا فيهـا جميعـا بسـبب يقظـة الرمـاة ومحافظتهـم عـلى مواقعهـم. (محمـود شـيت خطـاب، ١٩٩٥، ص١١٨)

بعـد ان بـدأت قـوات المشركـين بالتراجـع امـر الرسـول العربـي بتسـديد الضربـة المعاكسـة الى كبـد القـوات المتقهقـرة، وكان ثقـل المعركـة يـدور حـول لـواء المشركـين فقـد كانـت حملتـه مـن صناديـد قريـش المشـهورين بالشـجاعة والثبـات. وقـد كان هـدف الرسـول (صـلى اللـه عليـه وسـلم) مـن تركيـز الهجـوم عـلى حملـة اللـواء، الاطاحـة بهـذا اللـواء، لان الاطاحـة باللـواء - ولا سـيما في ذلـك العـصر - تحسـم المعركـة وتعجـل بهزيمـة مـن يسـقط لواؤهـم. (النمـري، ١٩٨٥، ص١٠٦)

شـدّ المسـلمون عـلى صفـوف المشركـين فزعزعوهـا وأشـاعوا الذعـر فيهـا، وبـدا الاضطـراب واضحـا في صفـوف الجيـش المكـي ولاسـيما بعـد ان سـقط لواؤهـم وبينمـا المسـلمون في غمـرة النـصر سـقط البطـل حمـزة بـن عبـد المطلـب شـهيدا في ميـدان الوغـى اغتالـه عبـد حبـشي اسـمه (وحـشي) اذ قذفـه بحربـة عـن بعـد. (الواقـدي، ١٩٦٦، ص١٨١)، وعـلى الرغـم مـن مـصرع حمـزة فقـد لحقـت بقريـش هزيمـة منكـرة وبعـد ان كانـت نسـاؤهم ينشـدن الاشـعار الحماسـية ويقرعـن الدفـوف، القـين الدفـوف مـن ايديهـن وقصـدن الجبـل، وتبـع المسـلمون

(١) هـو عمـرو بـن صيفـي بـن مالـك بـن النعـمان، خـرج الى مكـة وكان يعـد قريشـا ان لـو لقـي محمـد لم يختلـف عليـه منهـم رجـلان فلـما التقـى النـاس كان اول مـن لقيهـم فنـادى يـا معـشر الاوس انـا ابـو عامـر قالـوا فـلا انعـم اللـه بـك عينـا يـا فاسـق. وكان يسـمى في الجاهليـة (الراهـب)، ينظـر: (الطـبري، ١٩٨٦، ج٢، ص٥١٢).

المشركين يضعون فيهم السلاح وينتهبون الغنائم.

وعندما رأى الرماة المرابطون على جبل عينين، يحمون مؤخرة الجيش الاسلامي، ان المسلمين قد أجلوا المشركين عن المعسكر وركبوا ظهورهم يقتلون ويغنمون، ورأوا لواء المشركين مطروحا على التراب تأكدوا من هزيمة العدو فقال بعضهم لبعض: "لم تقيمون هاهنا في غير شيء وقد هزم الله عدوكم، وهؤلاء اخوانكم ينتهبون عسكرهم؟". (ابن سعد، ١٩٦٨، ص٢٦)

واختلفوا فيما بينهم، ايتركون مواضعهم ام يبقون فيها، فأصر قائدهم عبد الله بن جبير على البقاء وعصاه اكثرهم وانطلقوا، ولم يبق معه غير نفر دون العشرة.. واشترك الذين تركوا الجبل في اعمال النهب.

انتهز خالد بن الوليد فرصة ترك الرماة مواضعهم، وكان على ميمنة خيل المشركين. فهجم على موضع الرماة واستطاع ان يقضي عليهم بعد ان قاتلوا قتال الابطال حتى استشهدوا جميعا، وفي مقدمتهم قائدهم عبد الله بن جبير. (النمري، ١٩٨٥، ص١٠٧)

بعد ان قضى خالد بن الوليد على الرماة استدار بسرعة وانقض بفرسانه على مؤخرة الجيش الاسلامي، بعد ان صاح في فرسانه صيحة عرف منها المشركون المنهزمون ان ابن الوليد قام بحركة التفاف ناجحة على جيش المدينة فانقلب المشركون نحو المسلمين وقاموا بشن هجوم معاكس، واسرعت (عمرة بنت علقمة الحارثية) (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٣٣١) الى لواء المشركين المطروح على التراب فرفعته وبدأ الرجال المكيون يلتفون حول اللواء ويعودون الى ميدان المعركة. وهكذا تغير الموقف تغيرا جذريا لصالح المشركين وفقد المسلمون تنظيمهم وتضعضعت صفوفهم، وعمتهم الفوضى والارتباك، وألقوا ما في ايديهم من الغنائم وأصبح همهم الوحيد الخلاص من الطوق المضروب حولهم. (حسين عبد الحميد نبيل، ١٩٩١، ص١١٧)

وخلاصة القول ان المسلمين خسروا هذه المعركة، لأنهم لم يلتزموا بوصايا الرسول العسكرية علما اننا لم نجد اوامر مكتوبة وذلك لان الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان بنفسه يدير المعركة لذا كانت الاوامر شفوية وليست مكتوبة.

غزوة الخندق:

وتسمّى غزوة الاحزاب باشتراك القبائل مع قريش واليهود في أحزاب لمحاربة الرسول (صلى الله عليه وسلم) كانت احداث هذه الغزوة يوم الاثنين لثماني ليالي

مضين من شهر ذي العقدة في السنة الخامسة للهجرة (ابن كثير، الفصول في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ص٧٥). وكان سبب الغزوة ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما اجلى بني النضير ساروا الى خيبر فخرج نفر من اشرافهم ووجوههم الى مكة فالتقوا قريشاً ودعوهم الى الخروج واجتمعوا معهم على قتاله ، وواعدوهم بذلك موعداً ، ثم خرجوا من عندهم فاتوا غطفان وسليم ففارقوهم على مثل ذلك وتجهزت قريش وجمعوا احابيشهم ومن تبعهم من العرب فكانوا اربعة الاف وعقد اللواء في دار الندوة وحمله عثمان بن ابي طلحة وقادوا معهم ثلاثمائة فرس والف وخمسمائة بعير وخرجوا يقودهم ابو سفيان ووافتهم بني سليم بمر الظهران وهم سبعمائة ويقودهم سفيان بن عبد شمس وخرجت اشجع وهم اربعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة وخرجت بنو قره وهم اربعمائة يقودهم الحارث بن عوف. (الواقدي، ١٩٦٦، ص٣٢٣)

وما أن علم الرسول بهذه التجمعات، حتى شرع في اتخاذ الاجراءات الدفاعية الفورية اللازمة ودعا الى اجتماع عسكري - عاجل، لبحث الموقف. ولما كانت المعلومات الواردة اليه قد أكدت أن الهدف الرئيس من الغزو هو احتلال المدينة نفسها فقد دار البحث بصورة رئيسية حول ما يجب اتخاذه من اجراءات فعالة وحاسمة للدفاع عنها، وبعد مناقشات ومداولات في الخطة التي ينبغي اتباعها، تقرر أخيرا البقاء في المدينة والتحصن للدفاع فيها، سيما وأن قوام قوات العدو القتالي يقارب عشرة آلاف رجل (ابن الشحنة م.، ١٩٩٧، ص٨٢)، بينما لا يزيد جيش المدينة عن ثلاثة آلاف مقاتل.

وتشير المصادر إلى أن سلمان الفارسي (رض) قد أشار بفكرة حفر الخندق قائلاً " يا رسول الله انا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا" (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٣٩٠). وطبيعة المدينة لا تحتاج لخندق الا جهة الشمال لان المدينة تحيط بها الجبال والبساتين من النخيل من كل جانب سوا الشمال ولذلك فقد أقرّ النبي (صلى الله عليه وسلم) برؤية حكيمة ان يحفرو الخندق. اقبلت قريش في عددها وعُدّتها حتى نزلت بالقرب من المدينة واقبلت غطفان ومن تبعهم من القبائل وعسكروا الى جانب واحد (الهاشمي، ٢٠٠٦، ج٢، ص٢٥٤). وخرج رسول الله (ص) فتحصن بالخندق وهو في ثلاثة الاف وأمر بالنساء والذراري فجعلوا في اطام المدينة واستخلف عليها ابن ام مكتوم (رض). (ابن كثير، الفصول، ص٧٧)

ومن الجديد بذكر ان هذه المعركة هي أول معركة تبادل فيها رسول الله (صلى الله

عليه وسلم) الرسائل مع العدو قبل حدوث اشتباك عسكري. اذ يشير صاحب كتاب الوثائق السياسية(١). ا ن ابا سفيان بعث بكتاب الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخبره انه قادم على رأس مجموعة من قبائل العرب لغزو المدينة. وهذا نص الرسالة: " اما بعد فإنك قد قتلت ابطالنا وايتمت الاطفال ورملّت النسوان. والآن فقد اجتمعت القبائل والعشائر يطلبون قتالك. وقلع اثارك. وقد انفذنا اليك نريد منك نصف نخل المدينة. فان اجبتنا الى ذلك. والا ابشر بخراب الديار وقلع الاثار

تجاوبت القبائل من نزار لنصر اللات في بيت الحرام

واقبلت الضرغم من قريش على خيل مسومة ضرام

وأمر النبي علياً ان يكتب الجواب. فكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل كتاب اهل الشرك والنفاق والكفر والشقاق وفهمت مقالتكم. فو الله ما لكم عندي جواب الا أطراف الرماح واشفار الصفاح فارجعوا ويلكم عن عباده الاصنام وابشروا بضرب الحسام وبفلق الهام. وخراب الديار وقلع الاثار والسلام على من اتبع الهدى.

الا بلغ عني قريشا من لسان كالحسام

الا هلموا كي تلاقوا ما لاقيتم من الصمصام في بدن وهام (محمد حميد الله، ص٧٣)

فيما تذكر المصادر ان رسول الله (ص) عمل على استمالة غطفان ومصالحتهم لتشتيت الاحزاب اذ ارسل رسول الله (ص) الى عينه بن حصن والى الحارث بن عوف وقال لهم ارأيت ان جعلت لكم ثلث تمر المدينة ترجعان بمن معكم وتخذلان بين الاعراب قالا : تعطينا نصف تمر المدينة ، فأبى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ان يزيدهما على الثلث فرضيا بذلك وجاؤوا في عشرة من قومهما حين تقارب الامر فجاءوا وقد احضر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اصحابه واحضر الصحيفة والدواه واحضر عثمان بن عفان فأعطاه الصحيفة وهو يريد ان يكتب الصلح بينهما فاقبل اسيد بن خضير الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا يدري بما كان من الكلام فلما جاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجاء عينيه مادا رجليه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعلم ما يريدون فقال يا عين الهجرس(٢). اقبض رجليك

(١) يبين صاحب هذا الكتاب ان هذه الرسالة موجودة في كتاب السيرة لمحمد بن جرير الطبري وهو (مخطوطة ايا صوفيا رقم ٣٢٤٨) ينظر: (محمد حميد الله، ص٧٣).

(٢) الهجرس: ولد الثعلب ينظر: (ابن دريد، ١٩٨٥، ص٤٠٠).

اتمد رجليك بين يدي رسول الله. ثم اقبل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله ان كان امراً من السماء فامض له وان كان غير ذلك فو الله لا نعطيهم الا السيف متى طمعوا بهذا منا. فاسكت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ودعا سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما في ذلك فقالا: ان كان هذا امرا من السماء فامض له وان كان امرا لم تؤمر فيه ولك فيه هوى فامض لما كان لك فيه هوى فسمعا وطاعة وان كان انما هو الرأي فما لهم عندنا الا السيف.. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (شق الكتاب) فتفل سعد فيه ثم شقه. (الواقدي، ١٩٦٦، ص٣٤٤-٣٤٥)

صلح الحديبية:

قد حدث في هذا الصلح الكثير من المراسلات المهمة اذ يمكن ان نحصي نوعين من المراسلات التي قام بها الرسول (صلى الله عليه وسلم) فمنها شفوية اذ امر الرسول (صلى الله عليه وسلم) مجموعة من الصحابة للتفاوض مع قريش وحملهم رسائل تخص هذا المعنى وأخرى مدونة وهما ما تمخض عنه هذا الصلح ودون بين الطرفين : وصلح الحديبية حدث في ذي القعدة من العام السادس الهجري حيث خرج الرسول (صلى الله عليه وسلم) للعمرة في جمع من اصحابه واستنفر معهم العرب ومن حوله من اهل البوادي ليخرجوا معه واخذ معه سبعين بهيمة من الهدي والاضاحي (الاغنام) وقيل ان عدد المسلمين في ذلك سبعمائة فقط اي كل عشرة لهم هدي واحد (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٤٢٧). وبينما الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المسير " حتى إذا كان بعسفان استقبله بشر بن سفيان الكعبي فقال الى اين يا محمد؟ هذه قريش قد اقبلت ومعها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله ان لا يدخلها عليهم وهذا خالد بن الوليد قد قدموه أل كراع الغميم فقال النبي ويل ام قريش لقد اكلتهم الحرب فو الله لا ازال اجاهد على ما بعثني الله به حتى يظهر دينه" (البلخي، ١٩٩٧، ج٢، ص٢١٣). وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يبغي قتال اهل مكة لذلك أرسل عثمان بن عفان (رض) وقال له " اذهب الى قريش فخبرهم انا لم نأت لقتال أحد انما جئنا زوارا لهذا البيت معظمين لحرمته معنا الهدي ننحره وننصرف" (الواقدي، ١٩٦٦، ص٤٢٢). فذهب فتلقاه ابان بن سعيد بن العاص فأجاره حتى بلغ رسالة الرسول الى ابي سفيان واشراف قريش. فلما فرغ من ذلك قالوا له إنْ شئت تطوف بالبيت فطف قال ماكنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله (صلى الله

عليه وسلم) فاحتبسته قريش ثلاثة ايام ولما بلغ الرسول (صلى الله عليه وسلم) والمسلمون ان عثمان قد قتل قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة على الموت " فبايعهم تحت الشجرة وبايع لعثمان فضرب بشماله عن يمينه لعثمان" (ابن سعد، ١٩٦٨، ج١، ص٧٠) وبينما المسلمون يتأهبون للقتال عاد عثمان بن عفان من مكة وبعثت قريش سهيل بن عمرو في عدة من رجالهم الى الرسول (صلى الله عليه وسلم) لمصالحته والاتفاق معه على الرجوع عنهم عامهم هذا، وقد تمخضت عن هذا اللقاء ان تم تدوين كتاب صلح بين الطرفين حيث دعي الرسول (صلى الله عليه وسلم) علياً بن ابي طالب (رض) وقال له... اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل (لا اعرف هذا ولكن اكتب بسمك اللهم) فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) (اكتب بسمك اللهم) ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل (لو علمنا انك رسول الله ما قتلنا) (ابن هشام، ٢٠٠٧، ص٤٣٢). ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو. فقال المسلمون (لا تمحها يا رسول الله) فأمرهم ان يكفوا. وقال لعلي ابن أبي طالب (اكتب) ... ثم قال ..... (اسمي واسم أبي لا يذهبان بنبوتي) وكان وثيقة الصلح كما يأتي.

" هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمروا واصطلحا على: وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض، على انه لا أسلال ولا أغلال وأن عيبة مكفوفة، وانه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، ومن أحب ان يدخل في عهد قريش وعقدهم فعل. وانه من أتى محمداً منهم بغير أذن وليه رده اليه، وأنه من اتي قريشاً من أصحاب محمد لم يردوه. وأن محمداً يرجع عنا عامه هذا بأصحابه. ويدخل علينا قابلاً في أصحابه فيقيم بها ثلاثاً، لا يدخل علينا بسلاح ألا سلاح المسافر السيوف في القرب" (الواقدي، ١٩٦٦، ص٤٢٦)

شهد على ذلك أبو بكر وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف، وأبن أبي وقاص وعثمان وأبو عبيدة وابن مسلمة، وحويطب ومكرز.

كتب علي فكان هذا الكتاب عند النبي (صلى الله عليه وسلم)، ونسخة عند سهيل بن عمرو.

ب - الكتب والمراسلات بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) والملوك والامراء

تعدّ الكتب والرسائل التي بعثها الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى الملوك والامراء واحدة من اهم الخطوات التي مهدت الى بدايته الفتح والانتشار الاسلامي واعلان عالمية الرسالة الإسلامية، اذ بمقتضى هذه الرسائل هدف عليه الصلاة والسلام ان ينقل ويبشر بالدين الجديد من وسط الجزيرة العربية الى كافة أرجائها أضف الى ذلك فقد بعث بالرسائل والكتب الى جميع ملوك العالم المعروفين مثل هرقل عظيم الروم وكسرى فارس ونجاشي الحبشة ومقوقس مصر يدعوهم الى الاسلام (عبد المنعم ماجد، ١٩٦٠، ص١١٩). ولو أنعمنا النظر في فحوى تلك الرسائل لوجدناها تحمل تهديداً مباشرا لهؤلاء الملوك والامراء في حالة عدم خضوعهم للإسلام اذ كانت جل هذه الرسائل تحمل عبارة (أسلم تسلم) (الطبري، ١٩٨٦، ج٢، ص٦٤٨) ناهيك عن وجود الجانب الدعوي ولترغيب لهؤلاء الملوك والامراء في وجوب طاعة الله باتباعهم الاسلام.

وعلى الارجح ان هذه المراسلات قد حدثت بعد صلح الحديبة والذي بمقتضاه اعترفت قريش رسميا بالمسلمين. وبمكانتهم الدينية والعسكرية وكان هذا الصلح سببا في نشر الدعوة واتساعها بانضمام القبائل للإسلام. لذا وجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) انه قد ان الوقت لتعميم الدعوة الاسلامية والخروج بها الى اصقاع المعمورة خارج جزيرة العرب فاختار لذلك الغرض رسله من تجار المسلمين الذين سبق ان رحلوا الى تلك البلاد التي يريد دعوة ملوكها الى الاسلام ممن يعرفون عاداتهم (محمد رضا، ٢٠٠٦، ص٢٤٦). ومن أهم هذه الرسائل:

كتاب خالد الى رسول من بلاد بلحارث(١).

وهو أُنموذج من المراسلات الحربية التي حدثت في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث بعث خالد بن الوليد برسالة يصف فيها ما قام به من انجاز وينتظر تعليمات الرسول وما يأمره به وقد جاء فيها.

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحمد النبي رسول الله.. من خالد بن الوليد..

السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. فاني أحمد اليك الله الذي لا إله الا هو.

(١) بلد قريب من حجر اليمامة، ينظر: (ياقوت الحموي، ٢٠١٠، ج١، ص٤٧٦).

اما بعد يا رسول الله فإنّك بعثتني الى بني الحارث بن كعب وأمرتني إذا اتيتهم ان لا اقاتلهم ثلاثة ايام وادعوهم الى الاسلام. فان أسلموا قبلت منهم وعلمتهم معالم الاسلام وكتاب الله وسنة نبيه وان لم يسلموا قاتلتهم.

واني قدمت إليهم فدعوتهم الى الاسلام ثلاثة ايام كما أمرني رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) وبعثت فيهم ركبانا: يا بني الحارث أسلموا تسلموا. فاسلموا ولم يقاتلوا وانا مقيم بين اظهرهم امرهم بما امرهم الله به وانهاهم عما نهاهم الله عنه وأعلمهم معالم الاسلام وسنة النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى يكتب الي رسول الله. والسلام عليك يا رسول الله. (محمد حميد الله، ص١٦٥)

فكتب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رداً على رسالة خالد جاء فيه..

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبي رسول الله.

الى خالد بن الوليد:

سلام عليك. فاني أحمد اليك الله الذي لا إله الا هو.

اما بعد:

فان كتابك جاءني مع رسولك يخبرني ان بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل ان تقاتلهم واجابوا الى ما دعوتهم من الاسلام وشهدوا ان لا إله الا الله. وان محمدا عبده ورسوله. وان قد هداهم الله بهداه. فبشرهم وانذرهم. واقبل وليقبل معك وفدهم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. (محمد حميد الله، ص١٦٦)

ومن المراسلات الحربية الاخرى ما كان بين الرسول (صلّى الله عليه وسلم) وبين مسيلمة الكذّاب حيث بعث عبادة بن الحارث الى رسول الله برسالة يطالب فيها بأنه شريك في النبوة وان له نصف الارض وقد جاء في رسالته:

" من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله

اما بعد فان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم لا ينصفون والسلام عليكم ".

فكتب اليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

" بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي الى مسيلمة الكذّاب.

اما بعد، فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. والسلام على من اتبع الهدى ". (قدامة بن جعفر، ١٩٨١، ص٢٨٣)

الى أسقف ايله واهلها..

اذ بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مجموعة من الصحابة إليهم ومعهم كتاب ولو تمعنا في تفاصيل هذا الكتاب لوجدنا ان به إعلانَ حربٍ في حال عدم اطاعة رسل رسول الله وقد جاء فيه

" الى مريحنه بن روبه وسروات أهل ايله.

سلم أنتم. فاني احمد اليكم الله الذي لا إله الا هو. فاني لم أكن لأقاتلكم حتى اكتب اليكم فاسلم او اعط الجزية واطع الله ورسوله ورسل رسوله وأكرمهم واكسهم كسوة حسنة غير كسوة الغزاء واكس زيدا كسوة حسنة فمهما رضيت رسلي رضيت.

وقد علم الجزية. فان اردتم ان يأمن البر والبحر فأطع الله ورسوله. ويمنع عنكم كل حق كان للعرب والعجم الا حق الله وحق رسوله. وأنك ان رددتهم ولم ترضهم لأخذ منكم شيئا حتى اقاتلكم فاسبي الصغير واقتل الكبير. فاني رسول بالحق أؤمن بالله وكتبه ورسله وبالمسيح ابن مريم انه كلمة الله. واني أومن به انه رسول الله. وائت قبل ان يمسكم الشر فاني قد اوصيت رسلي بكم واعط حرمله ثلاثة اوسق شعير وان حرمله شفع لكم واني لولا الله وذلك لم اراسلكم شيئا حتى ترى الجيش وأنكم ان اطعمتم رسلي فان الله لكم جار ومحمد ومن يكون منه.

وان رسلي شرحبيل وأبي وحرمله وحريث بن زيد الطائي. فانهم مهما قاضوك عليه فقد رضيته. وان لكم ذمة الله وذمة محمد رسول الله والسلام عليكم ان اطعتم ".

(محمد حميد الله، ص١١٦)

خالد بن الوليد:

حين بعثه رسول الله من سنة ٩ هـ الى اكيدر بن عبد الملك الكندي في دومة الجندل بعث معه كتاباً جاء فيه.

" هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر. حين اجاب الى الاسلام. وخلع الانداد والاصنام، ولأهل دومه ان لنا الضاحية(١) من الضحل(٢) والبور(٣) والمعامي(٤) واغفال(٥) الارض، والحلقة والسلاح. والحافر. والحصن. ولكم الضامنة من النخل والمعين من

(١) الضاحي: البارز.

(٢) الضحل: الماء القليل.

(٣) البور: الارض التي لا تحرث.

(٤) المعامي: وهو جمع معمي اسم مكان من العماء بمعنى الخفاء.

(٥) الاغفال: جمع غفل وهو الذي لاشي عليه.

المعمور، لا تعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات. تقيمون الصلاة لوقتها. وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذلك عهد الله والميثاق ولكم به الصدق والوفاء. شهد الله ومن حضر من المسلمين" (قدامة بن جعفر، ١٩٨١، ص٢٧١)

١. عمر بن امية الضمري:

بعثه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى النجاشي ملك الحبشة " فكان اول رسول بعثه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكتب اليه كتابين يدعوه في أحدهما الى الاسلام ويتلو عليه القران" (ابن سعد، ١٩٦٨، ج١، ق٢، ص١٥)

بسم الله الرحمن الرحيم (من محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى النجاشي، فاني احمد اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن. واشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة، فحملت بعيسى، واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فاني رسول الله وقد بعثت اليكم ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين. والسلام على من اتبع الهدى). (الطبري، ١٩٨٦، ج٢، ص٦٤٨)

فكتب النجاشي الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم). بسم الله الرحمن الرحيم، الى محمد رسول الله، من النجاشي، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته. من الله الذي لا إله الا هو الذي هداني الى الاسلام. اما بعد. فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من امر عيسى عليه السلام، فورب السماء والارض ان عيسى ما يزيد عما ذكرت، ثفروقاً انه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت به الينا، ابن عمك واصحابه واشهد أنك رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين وقد بعثت اليك بابني فان شئت ان آتيك يا رسول الله فعلت واني اشهد ان ما تقول حق والسلام عليك ورحمة الله وبركاته). (ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٢، ص٨٠)

٢. دحية بن خليفة الكلبي:

بعثه الى قيصر ليدعوه الى الاسلام وبعث معه كتاباً وأمره ان يدفعه الى عظيم بصرى الحارث ملك غسان ليدفعه هذا الى هرقل. (ابن سعد، ١٩٦٨، ج١، ق٢، ص١٨)

بسم الله الرحمن الرحيم (من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى: اما بعد. فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم. يؤتك الله اجرك

مرتين. وان توليت فان عليك إثم الاريسين: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (سورة ال عمران، اية ٦٤)

استلم قيصر الكتاب وهو يومئذٍ بحمص فقرأه وقال لهم (يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وان يثبت لكم ملككم وتتبعون ما قال عيسى بن مريم قالوا وما ذاك ايها الملك. قال تتبعون هذا النبي العربي. قال ابو سفيان فلما قضى مقالته علت اصوات الذين حوله من علماء الروم وكثر لغطهم فلا أدرى ماذا قالوا فأمر بنا فأخرجنا). (ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٢، ص٧٩٧)

قال أبو سفيان فلما خرجت مع أصحابي وخلصت قلت لهم. لقد أمر لهم. ابن ابي كبشه، أي قوي واشتد هذا ملك بني الأصفر يخافه. قال أبو سفيان فو الله مازلت ذليلاً مستيقظاً ان امره سيظهر حتى ادخل الله عز وجل قلبي الى الاسلام وانا كاره. (الطبري، ١٩٨٦، ج٢، ص٦٥٠)

اما هرقل فانه حينما رأى ان جماعته قد حاصوا وتناحزوا ورفعوا الصلبان يأس من اسلامهم وخاف على نفسه وملكه فسكتهم وقال. (انما قلت لكم ما قلت اختبر لأنظر كيف صلابتكم في دينكم وقد راية منكم الذي أحب فسجدوا له ورضوا عنه. وعاد بعد ذلك دحية بكتاب من هرقل جاء فيه ... الى محمد رسول الله ... إني مسلم ولكن مغلوب على أمري وأرسل له بهدية. فقال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) كذب عدو الله. ليس بمسلم بل هو على نصرانيته وقبل هديته وقسمها بين المسلمين). (ابن الاثير ع.، ٢٠٠٧، ص١٨٠)

١- عبد الله بن حذافة السهمي:

بعثه الى كسرى يدعوه الى الإسلام وأمره ان يرفعه اليه وهذا ما نصه. (بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس. السلام على من اتبع الهدى وامن بالله ورسوله وشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمد عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله عز وجل فاني رسول الله الى الناس كافة لأنذر مَنْ كان حيا ويحق القول على الكافرين فاسلم تسلم. فان توليت فعليك اثم المجوس). (ابن سعد، ١٩٦٨، ج١، ق٢، ص١٩)

دفع عبد الله الكتاب الى كسرى فأخذه ومزقه وقال: يكتب لي بهذا الكتاب وهو عبدي فبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين دعوة عبد الله بن حذافة الى المدينة

فقال (صلى الله عليه وسلم) (مزق الله ملكه). (النويري، ١٩٨٤، ج١، ص١٦٣)

اما كسرى فقد كتب الى باذان وهو عامله على اليمن ... ان ابعث من عندك رجلين جلدين فليأتيان بخبره او برأسه (ابن سعد، ١٩٦٨، ج١، ق٢، ص٢٠). بعث باذان قهرمانه فيروز الديلمي ورجلا آخر يدعى خسروا وكتب معهما كتاباً فلما قدم المدينة دفع بالكتاب الى النبي. فتبسم ودعاهما الى الاسلام وفرائضهما ترتعد ثم قال لهما ... (ارجعا عني يومكما هذا حتى تأتيان الغد فأخبركما بما أُريد فجاءاه الغد فقال لهما.. (ابلغا صاحبكما ان ربي قتل ربه كسرى هذه الليلة لسبع ساعات مضت منها وكانت ليلة الثلاثاء لعشر ليالي مضين من شهر جمادى الاولى للسنة السابعة من الهجرة وان الله سلط عليه ابنه شيرويه فقتله) رجع الرجلان الى باذان في اليمن ولما وقف على صحة الخبر أسلم هو والابناء اللذين في اليمن. (الطبري، ١٩٨٦، ج٢، ص٦٥١)

٢- حاطب ابن ابي بلتعة اللخمي:

بعثه الى المقوقس صاحب الاسكندرية عظيم القبط يدعوه الى الاسلام وكتب معه كتاباً: (بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط. سلام على من اتبع الهدى.

اما بعد: فاني أدعوك بدعاية الاسلام. أسلم تسلم يؤتيك الله اجرك مرتين. فان توليت فعليك اثم كل القبط. {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (سورة ال عمران، اية ٦٤)

ويذكر ان المقوقس قبل كتاب النبي وأهدى اليه جاريتين وبغلة وحمار. وكانت احدى هاتين الجاريتين ماريه أم ابراهيم. اما الدواب فكان أحدهما حمارا يقال له عفير وبغلة يقال لها دلدل. ولم يسلم ولكنه عندما اخذ الكتاب من حاطب جعله في حق من عاجٍ وختم عليه ودفعه الى جاريته. وقال لحاطب .... ما منعه ان كان نبي ان يدعو على من خالفه واخرجه من بلدة فقال له حاطب ... (وما منع عيسى وقد اخذه قومه ليقتلوه ان يدعو الله عليهم فيهلكهم. فقال المقوقس ... (احسنت انت حكيم جاء من عند حكيم). وقد قبل الرسول هديته وقال (ظن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه). (ابن سعد، ١٩٦٨، ج١، ق٢، ص٢٠)

٣- شجاع بن وهب الاسدي:

بعثه الى الحارث بن ابي شمر الغساني وكان أميرا بدمشق من جهة القيصر يدعوه الى الاسلام وكتب معه كتابا (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله الى الحارث بن ابي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن باللّه وصدق واني أدعوك الى ان تؤمن باللّه وحده لا شريك له. يبقى لك ملكك). (ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٢، ص٨٠٨)

جاء شجاع الى الحارث وهو بغوطة دمشق مشغول بتهيئة الانزال والالطاف لقيصر وبقي شجاع على بابه يومين او ثلاثة ثم قال لحاجبه (إني رسول الله اليه) فقال الحاجب لاتصل اليه حتى يخرج يوم كذا. ثم صار الحاجب واسمه (مري) يسال عن صفة الرسول وما يدعو اليه حتى رق وغلبه البكاء. وقال (إني قد قرأت الانجيل فوجدت صفة هذا النبي بعينه. فاني أؤمن به وأصَدّقه وأخاف من الحارث ان يقتلني). (ابن الاثير ع.، ٢٠٠٧، ج٢، ص١٤٠)

وخرج الحارث وعلى راسه التاج واذن لشجاع عليه. فلما دخل دفع اليه كتاب رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) فقرأه ثم رمى به وقال (من ينزع مني ملكي. انا سائر اليه.. ولو كان باليمن لجئته.. علي بالناس. فلم يزل يعرض حتى قام وامر بالخيول ان تنعل. ثم أخبر صاحبك بما ترى. قدم شجاع على النبي (صلّى الله عليه وسلم) وأخبره الخبر واقرأه سلام الحاجب (مري) قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) عن الحارث (باد ملكه) وعن (مري) صدق ثم مات الحارث عام الفتح. (ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٢، ص٨٠٨)

٤- سليط بن عمرو العامري:

بعثه الى هوذه بن علي الحنفي يدعوه الى الاسلام وكان نصرانياً وكتب معه كتاباً (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله الى هوذا بن علي صاحب اليمامة سلام على من اتبع الهدى. واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر فاسلم تسلم واجعل لك تحت يدك. فلما قدم عليه انزله وحياه. وقرأ كتاب النبي (صلى الله عليه وسلم) ورد ردا جميلا وكتب كتاباً الى النبي (صلى الله عليه وسلم) (ما حسن ما تدعوا اليه وأجمله. وانا شاعر قومي وخطيبهم. والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الامر اتبعك) وأجار سليط بجائزة وكساه اثوابا من نسج هجر. عاد سليط الى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأخبره الخبر وقرأ كتابه وقال لو سألني سيابه من الارض ما فعلت.. باد.. وباد ما في يديه.. اللهم اكفني اياه (ابن الاثير ع.، ٢٠٠٧، ج٢، ص١٤٠)

ومات هوذه بعد منصرف النبي (صلى الله عليه وسلم) من فتح مكة وله من العمر مئة وخمسين سنة). (ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٢، ص٨٥٩)

٥- العلاء بن الحضرمي:

بعثه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى المنذر بن ساوي الاعبدي التميمي ملك البحرين يدعوه الى الاسلام وكتب اليه كتابا (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله الى ابن ساوي سلام عليك فاني أحمدُ الله اليك الذي لا إله الا هو وأشهد ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله.

أما بعدُ..

فاني أُذكرك الله عزّ وجلّ فانه من ينصح فإنما ينصح لنفسه. وان من يطع رسلي ويتبع امرهم فقد اطاعني ومن نصح لهم فقد نصحَ لي وان رسلي قد أثنوا عليك خيرا واني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما سلموا عليه وعفوت عن اهل الذنوب فاقبل منهم وأنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن اقام على يهوديته او مجوسيته فعليه الجزية وبأن لا تنكح نساءهم ولا تأكل ذبائحهم (ابن سعد، ١٩٦٨، ج١، ق١، ص١٩). فكتب ابن ساوي الى النبي بإسلامه وتصديقه. وقال (اما بعد يا رسول الله فاني قرات كتابك على أهل هجر فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه ولم يدخل فيه. وبأرض مجوس ويهود فأحدث لي في امرك فكتب له النبي (اما بعد فان من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله والرسول. فمن أحب ذلك من المجوس فانه آمن ومن أبى فعليه الجزية). (ابن الجوزي، ١٩٩٥، ج٢، ص ٨٥٠)

الاستنتاجات:

من خلال هذه الدراسة يمكن ان نستنتج ما يأتي: ـ

١- كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) في كل معاركه حريصا على عدم اراقة الدماء.

٢- كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا يلجأ الى العنف المسلح الا إذا لم يجد امامه وسيلة اخرى تصون حياة الصحابة الا بإعلان الحرب.

٣- تجلت عبقرية الرسول (صلّى الله عليه وسلم) العسكرية من خلال ابتكاره خطط لم يألفها العرب من قبل ففي معركة بدر قاتل بنظام الصفوف وفي معركة الاحزاب لجأ الى حفر الخندق.

٤- حرص الرسول على السرية في اعداد أو مسيرة أي غزوة أو بعث.

٥- حرص الرسول على بثّ العيون لجلب اخبار العدو.

٦- لاحظنا ان كل الاوامر كانت تصدر من الرسول بصفته قائدا للجيش كانت شفوية مع وجود اوامر مكتوبة في بعض السرايا.

٧- مهد الرسول الى فتح الكثير من الاراضي من خلال المراسلات التي قام بها مع ملوك وامراء تلك الدول والتي انبأهم فيها ان المسلمين سوف يصلون إليهم وهذا واضح من خلال استخدامه لعبارة (أسلم تسلم).

الخاتمـــــــة:

من خلال ما تقدم يمكن ان نستنتج ان المراسلات الحربية اخذت منحى وابعاد بحسب المراحل والادوار التي انتهجها الرسول (صلى الله عليه وسلم) لذا يمكن اجمالها بمرحلتين:

المرحلة الاولى مكية يمكن ان نجملها بما يأتي:

١- بعد مبعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) لجأ الى الاسلوب الدعوي فقط.

٢- كانت توجيهات الرسول (صلى الله عليه وسلم) لاتباعه بعدم اظهار شعارهم للناس.

٣- كانت جل الوصايا والتوجيهات تحث على السرية في العمل.

٤- كانت المراسلات والتوجيهات شفوية.

٥- كانت جل المراسلات والتوجيهات تدعو للصبر وعدم الرد.

المرحلة الثانية مدنية وتقسم الى قسمين:

أ- مراسلات حربية اقليمية:

وهذه المراسلات بدأت بتوجيه شفهي للقطعات والسرايا لغرض القيام بمهام عسكرية لغرض اعتراض تداخل التجارة او تتبع فلول عسكرية قامت بمهام على أطراف المدينة، او لأغراض توجيه نخب معين من المقاتلين للقيام بواجبات خاصة.

ب- مراسلات عالمية:

وتمثلت بالمراسلات التي قام بها الرسول (صلّى الله عليه وسلم) الى الملوك والامراء حيث أكد الرسول من خلالها على عالمية الاسلام وانه ليس حكراً على الجزيرة العربية وان رسالته هي للعالم أجمع.

المراجع

القرآن الكريم.

ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي. (١٩٨١). التنبيه والاشراف. بيروت: مكتبة الهلال.

ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي. (١٩٩٥). المنتظم في اخبار الملوك والامم. (سهيل زكار، المحرر) بيروت: دار الفكر.

أبو الفضل شهاب الدين أحمد علي العسقلاني ابن حجر. (٢٠١٣م). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. (عبد القادر رشيد الحمد، المحرر) بيروت: دار الرسالة العلمية.

ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي. (١٩٦٦). المغازي. (مارسدن جونس، المحرر) مصر: دار المعارف.

ابو محمد عبد الملك بن ايوب ابن هشام. (٢٠٠٧). سيرة النبي صلى الله عليه وسلم. (مصطفى السقا، و آخرون، المحررون) بيروت: دار الكتب العلمية.

ابي بكر محمد بن الحسن ابن دريد. (١٩٨٥). الاشتقاق. (عبد السلام محمد هارون، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.

ابي زيد احمد بن سهل البلخي. (١٩٩٧). البدء والتاريخ. (خليل عمران المنصور، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

ابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي. (١٩٦٧). الجامع لاحكام القران. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابي عمرو خليفة بن خياط بن ابي هريرةالليثي العصفوري خليفة بن خياط. (١٩٩٥). تاريخ خليفة بن خياط. (مصطفى نجيب، و حكمت كشلي، المحررون) بيروت: دار الكتب العلمية.

احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب اليعقوبي. (بلا تاريخ). تاريخ اليعقوبي. (خليل المنصور، المحرر) طهران: دار الاعتصام.

اكرم ضياء العمري. (١٩٩٥). السيرة النبوية الصحيحة. الرياض: مكتبة العبيكان.

بريك محمد العمري. (١٩٩٦). السرايا والبعوث النبوية. الرياض: دار ابن الجوزي.

جواد علي. (٢٠٠٤). تاريخ العرب قبل الاسلام. بغداد: دار الشؤون الثقافية.

حسين عبد الحميد نبيل. (١٩٩١). الحياة العسكرية لقائد البشرية. بيروت: دار الارقم.

سيد قطب. (١٩٦٧). في ظلال القران. بيروت: دار احياء التراث العربي.

شمس الدين محمد بن ابي بكر ابن القيم. (بلا تاريخ). زاد المعاد في هدي خير العباد. بيروت: دار الكتب العلمية.

شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ياقوت الحموي. (٢٠١٠). معجم البلدان. بيروت: دار صادر.

شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري. (١٩٨٤). نهاية الإرب في فنون الأدب. القاهرة: دار الكتب المصرية.

عبد المنعم الهاشمي. (٢٠٠٦). مؤسسة تاريخ العرب. بيروت: مكتبة الهلال.

عبد المنعم ماجد. (١٩٦٠). التاريخ السياسي للدولة العربية. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

عز الدين ابي الحسن علي بن محمد ابن الاثير. (٢٠٠٦). اسد الغابة في معرفة الصحابة (المجلد ١). (خالد طرطوسي، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.

عز الدين ابي الحسن علي بن محمد ابن الاثير. (٢٠٠٧). الكامل في التاريخ. (خليل مامون شيحا، المحرر) بيروت: دار المعرفة.

عماد الدين اسماعيل الدمشقي ابن كثير. (٢٠٠٨). تفسير ابن كثير. بيروت: مكتبة الهلال.

عماد الدين اسماعيل الدمشقي ابن كثير. (٢٠٠٨). تفسير ابن كثير. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

عماد الدين خليل. (١٩٨٣). دراسات في السيرة. بغداد: مطبعة الزهراء.

قدامة بن جعفر. (١٩٨١). الخراج وصناعة الكتابة. (محمد حسين الزبيدي، المحرر) بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر.

كامل سلامة الدقس. (١٩٩٤). دولة الرسول (ص) من التكوين الى التمكين. عمان: دار عمار.

لبيد ابراهيم. (٢٠٠٢). السيرة النبوية الشريفة. بغداد: مطبعة الميناء.

لويس دي بريمار. (٢٠٠٩). تاسيس الاسلام بين الكتابة والتاريخ. (عيسى محاسبي، المترجمون) بيروت: دار الساقي.

محب الدين بن الوليد محمد بن محمد ابن الشحنة. (١٩٩٧). روض المناظر في علم الاوائل والاواخر. (سيد محمد مهنى، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

محب الدين بن الوليد محمد بن محمد ابن الشحنة. (١٩٩٧). روض المناظر في علم الاوائل والاواخر. (سيد محمد مهنى، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

محمد بن احمد كنعان. (١٩٩٧). خلاصة تاريخ ابن كثير المغازي النبوية. بيروت: مؤسسة المعارف.

محمد بن جرير الطبري. (١٩٨٦). تاريخ الرسل والملوك. (محمد ابو الفضل، المحرر) القاهرة: دار المعارف.

محمد بن سعد بن منيع البصري ابن سعد. (١٩٦٨). الطبقات الكبرى. القاهرة: دار التحرير.

محمد حميد الله. (بلا تاريخ). مجموعة الوثائق السياسية. بيروت: دار النفائس.

محمد رضا. (٢٠٠٦). محمد (صلى الله عليه وسلم). بيروت: دار الكتاب العربي.

محمود شيت خطاب. (١٩٩٥). الرسول القائد. بيروت: دار الفكر.

هاشم يحيى الملاح. (١٩٩٣). الوسيط في السيرة النبوية. الموصل: مطبعة جامعة الموصل.

يوسف القرضاوي. (٢٠٠٥). السنة مصدر للمعرفة والحضارة. القاهرة: دار الشروق.

يوسف بن عبد البر النمري. (١٩٨٥). الدرر في اختصار المغازي والسير. بيروت: دار الكتب العلمية.